جامعة الأزهر فرع أسيوط
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
المجلـة العلميـة

الفراسة الإيمانية بين علم الغيب والعمل بها
"عرض ودراسة"

إعداد
د/ صلاح حسن محمد علي
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بأسيوط

(العدد الخامس عشر: ٢٠١٦م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمــــــة

الحمد لله رب العالمين، نوَّر قلوب أوليائه بالنور الإلهي، وجعل تفرسهم وتوسمهم آية من آياته، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين ورحمته للعالمين، سيدنا محمد، القائل: " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله(١) " اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعــــــد...

فما أجمل البحث فيما يمن به الحق – سبحانه وتعالى – على أوليائه من الفراسة الإيمانية؛ إذ هي ثمرة إيمان كامل لا يحتمل نقيضًا بحال من الأحوال، ونتاج مجاهدة تَرَقت بها النفس حتى أصبحت مستعدة لأن يفاض عليها من النور الإلهي، ولم لا ؟ وقد تقرب صاحبها إلى ربه – سبحانه وتعالى – بالنوافل بعد الفرائض، حتى صار يسمع بالله – تعالى – ويبصر بالله – عز وجل –فعلَّمه من لدنه علمًا لا يؤخذ من لوح

(١) أخرجه الترمذي في سننه ج٥ ص ٢٧٨ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجر رقم الحديث ٣١٢٧ ، وقال : حسن غريب ، ت كمال يوسف الحوت ، ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٨ ص ١٠٢ ت حمدي عبد المجيد ، مكتبة ابن تيمية " ثانية ، وفي الأوسط ج ٣ ص ٣١٢ ت / طارق بن عوض الله وآخرين ، طبع ونشر دار الحرمين بالقاهرة .

ولا كتاب، به تميزت الفراسة الإيمانية عن غيرها من الفراسات الأخرى المتعلمة بصناعة ونحوها، كفراسة الرياضة، وكالفراسة الخَلْقية، مما يكون للمؤمن وغير المؤمن، ومما هو مشهور عند العرب وغيرهم، وأكثروا فيه الكتب والتآليف قديمًا وحديثًا؛ لأجل ذلك تاقت نفسي للبحث في هذه المعاني الرقيقة، والجواهر الثمينة، فاخترت بتوفيق من الله – عز وجل – موضوعًا للبحث بعنوان:

الفراسة الإيمانية بين علم الغيب والعمل بها
"عرض ودراسة"

وقد حدا بي لاختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية:

١- المساهمة في إبراز الصورة الحقة لهذا العلم الرباني وتأصيله من الشرع الحنيف

٢- إقناع المسلم بوجود الفراسة الإيمانية على سبيل الهبة والكرامة، لكنها ليست علمًا للغيب المطلق الذي استأثر وتفرد به العليم – سبحانه وتعالى-.

٣- وجدت اختلافًا بين العلماء في العمل بالفراسة الإيمانية وما في حكمها مما يَرِد على القلب، فأردت أن أصل إلى الحقيقة وأُجَلِّيها علمًا بالحق.

هذا وقد اشتمل البحث على فصلين تسبقهما مقدمة ويعقبهما خاتمة وفهارس، أما المقدمة: فقد ضمنتها أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث، وأما الفصلان فكانا كالتالي:

الفصل الأول: التعرف بالفراسة الإيمانية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفراسة لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواع الفراسة.

الفصل الثاني: صلة الفراسة الإيمانية بعلم الغيب وحجيتها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفراسة الإيمانية وعلم الغيب.

المبحث الثاني: حجية الفراسة الإيمانية والعمل بها.

أما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم نتائج البحث، وأما الفهارس فكانت فهرسًا للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الأول

التعريف بالفراسة الإيمانية.

المبحث الأول: الفراسة لغة واصطلاحًا.

أولاً: الفراسة لغة.

إذا نظرنا في المعنى اللغوي لكلمة " فِراسة " وجدنا أنها وفق كتب اللغة وأصولها تدور حول معان منها: النظر والتثبت والتوسم(1)، ففي لسان العرب: "والفِراسة بكسر الفاء: في النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، وتفرَّس فيه الشيء توسمه، والاسم الفِراسة بالكسر، وفي الحديث " اتقوا فراسة المؤمن "(2).

وفي الصحاح: " والفِراسَةُ بالكسر: الاسم من قولك: تَفَرَّسْتُ فيه خيراً. وهو يَتَفَرَّسُ، أي يتثبَّت وينظر. تقول منه: رجلٌ فارِسُ النظر. وفي الحديث:" اتَّقوا فِراسَةَ المؤمنِ"(3).

كذلك في تاج العروس كانت الفراسة بهذا المعنى؛ إذ يقول الزَّبيدي:
"والفِراسة – بالكسر –: اسم من التفرس وهو التوسم، يقال: تَفَرَّس فيه الشيء إذا توسمه "(4)

---

(1) الوَسْم : أثر الكَيِّ والجمع وسوم ، والمِيسَم : الحديدة التي يكوى بها، لسان العرب ج ١٢ ص ٦٣٥ ط/ دار صادر – بيروت .

(2) لسان العرب لابن منظور ج٥ ص ٣٣٧٩ ، ط / دار المعارف بدون ، والحديث سبق تخريجه في المقدمة .

(3) الصحاح للجوهري ج٣ ص ٩٥٨، تح أحمد عبد الغفار عطيتو ط/ دار العلم للملايين بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، وينظر أيضًا مختار الصحاح ٤٩٧ لابن أبي بكر الرازي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠م .

(4) ج ١٦ ص ٣٢٨ تح محمود محمد الطناحي ، مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

وهناك الكثير والكثير من كتب اللغة دارت فيها المعاني اللغوية للفراسة حول هذا المعنى(١)وبنحوه في كتب التعريفات، فيقول الشريف الجرجاني:" الفراسة في اللغة: التثبت والنظر"(٢).

ويقول الزمخشري: " رجل بَيِّن الفِراسة بالكسر ؛ أي ذو بصر وتأمل. ويقول: فأَمّا الفِراسة بالكسر فَمِنَ التَّفَرُّس "(٣).

وهكذا في المعاجم اللغوية وغيرها نجد ربطًا بين الكلمة والتوسم الذي هو التفرس، وبين التثبت والنظر كذلك ،وهذا إن دل فإنما يدل على أن الفراسة أمر يتصل بنوع من المعرفة التي تدرك بها الأمور عن بُعد حتى ولو لم تكن ظاهرة، فقد " قيل في تفسير قوله – تعالى –: " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ"(٤) أي للمتفرسين، قيل: الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب حتى شهدت الأشياء من حيث أشهدها الحق إياها، وكل من كان أقوى إيمانًا كان أشد فراسة، وكان يقال: إذا صحت الفراسة ارتقى منها صاحبها إلى المشاهدة "(٥).

(١) ينظر مثلاً : المخصص لابن سيده ج ١٣ ص ٢٦ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ الطبعة الأولى ، والمعجم الوسيط ج٢ ص ٧٠٦ إصدار مجمع اللغة العربية الطبعة الثالثة .
(٢) التعريفات ص ١٤٥ ط/ مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .
(٣)الفائق في غريب الحديث ج٣ ص ٤٤ و ص ١١٤، الناشر دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الثانية ، تح علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.
(٤) سورة الحجر الآية : ٧٥ .
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٢١٨ لابن أبي الحديد تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي ، وينظر التفسير الكبير للرازي ج ١٩ ص ١٦٢ ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .

ولأنه يقال: "الواسم الناظر إليك من فَرْقك إلى قدمك، وأصل التوسم: التثبت والتفكر مأخوذ من الوَسْم وهو التأثير بحديدة في جلد البعير وغيره. وذلك يكون بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الفكر.زاد غيره: وتفريغ القلب من حشو الدنيا وتطهيره من أدناس المعاصي وكدورة الأخلاق وفضول الدنيا، روى نَهْشَل عن ابن عباس " للمتوسمين "قال: لأهل الصلاح والخير وزعمت الصوفية أنها كرامة(1) وقيل: بل هي استدلال بالعلامات"(2).

وإذا كانت الفراسة استدلالاً بالعلامات فإن هناك الكثير من الوقائع التي تبين حدوث استدلالات كثيرة لا يعرفها إلا من كان من أهل الفراسة؛ لأن " من العلامات ما يبدو ظاهرًا لكل أحد وبأول نظرة، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل أحد ولايدرك ببادئ النظر، قال الحسن: المتوسمون: هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار فهذا من الدلائل الظاهرة.

ومثله قول ابن عباس: ما سألني أحد عن شيء إلا عرفت أفقيه هو أو غير فقيه؟وروي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد، فقال أحدهما: أراه نجارًا وقال الآخر: بل حدادًا، فتبادر من حضر إلى الرجل، فسأله، فقال: كنت نجارًا وأنا اليوم حداد.

---

(1) الكرامة هي : ظهور أمر خارق للعادة من قِبل الولي بلا دعوى النبوة ، وهي جائزة ولو بقصد الولي . شرح المقاصد ج5 ص 72 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج10 ص 43 مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى 1359 هـ 1940 م .

وروي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن رجلاً دخل عليه وكان قد مر بالسوق، فنظر إلى امرأة، فلما نظر إليه قال عثمان: يدخل أحدكم عليّ وفي عينيه أثر الزنى. فقال له الرجل: أوحياً بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ فقال: لا، ولكن برهان وفراسة وصدق، ومثله كثير عن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – أجمعين "(١).

من كل ما سبق نجد أن المعنى اللغوي للفراسة دار حول النظر والتثبت والتوسم والتأمل، وكل هذه المعاني يحقق للإنسان معرفة بغض النظر عن كونها ظنية أو يقينية، يعمل بها أو لا يعمل بها، وهذا بدوره يجعلنا نتساءل عن المعنى الاصطلاحي للفراسة، ويظهر ذلك في التالي:

الفراسة(٢) اصطلاحًا:

إذا دار المعنى اللغوي للفراسة حول التثبت والتوسم والنظر فإن معناها الاصطلاحي يرتبطبما يلقيه الحق – سبحانه وتعالى – من علم ومعرفة في قلوب الأولياء(٣) والأصفياء ممن طهَّر بواطنهم ونوَّرها بالنور الإلهي فتكشفت لهم الخفايا؛ لأن ظاهر حديث الفراسة يدل على أنها "ما يوقعه الله في قلوب أوليائه؛ فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحَدْس والنظر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٤٤ باختصار .
(٢) سيكون التعريف هنا إن شاء الله للفراسة الإيمانية – أحد أنواع الفراسة - موضوع البحث .
(٣) الولي هو : العارف بالله – تعالى –الصارف همته عما سواه ، شرح المقاصد ج ٥ ص ٧٢ .

والظن والتثبت "(1)، يقول التهانوي:" الفراسة بالكسر اطلاع مكاشفة اليقين ومعاينة السر، وقيل: الفراسة اطلاع الله على القلب ويطلع القلب الغيوب بنور اطلاع الله، وذلك نور المؤمن الذي قال في حقه النبي – عليه الصلاةوالسلام – المؤمن ينظر بنور الله"(2)وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على معناها على ما سيظهر إن شاء الله – تعالى–.

ومما يسترعي الانتباه أن هناك تناسبًا ظاهرًا بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي؛ فإذا ذهب البعض إلى أن الفَراسة – بالفتح– مشتقة من الفروسية فالمناسبة أن " ركضه بالجوارح على الفرس فروسية ،وركضه ببصر قلبه بنور الله – تعالى – هي فراسة، فبالفرس تقطع مسافة الدنيا وبنور الله تقطع مسافة القلب"(3).

وذهب الإمام الرازى إلى أن الفراسة " هي الاستدلال بالخَلْق الظاهر على الخُلق الباطن، وقد نبّه الله – تعالى – على صدق هذا الطريق بقوله – تعالى –: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ"وقوله – تعالى –: " تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ"(4) وقوله – تعالى –: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ"(5) واشتقاقها من

---

(1) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ج8 ص 441 ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
(2) هذا جزء من حديث ، أخرجه الترمذي ، وتمامه في مقدمة البحث ، كشاف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 434 .ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1418 هـ 1998 م .
(3) نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي ج 2 ص 221 تح د/ أحمد السايح ، د/ السيد الجميلي ط/ دار الريان للتراث بالقاهرة ، الطبعة الأولى 1408 هـ 1988 م .
(4) سورة البقرة الآية : 273 .
(55) سورة محمد الآية : 30 .

قولهم: فرس السبع الشاة. فكأن الفراسة اختلاس المعارف، وذلك ضربان: ضرب يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب، وذلك ضرب من الإلهام بل ضرب من الوحي، وإياه عنى النبي – صلى الله عليه وسلّم – بقوله: "إن في أمتي لمحدثين وإن عمر لمنهم"(١) ويسمى ذلك أيضًا النفث في الرُوع، والضرب الثاني من الفراسة ما يكون بصناعة متعلمة وهي الاستدلال بالأشكال الظاهرة على الأخلاق الباطنة"(٢).

وهنا يشير الإمام الرازي إلى تعريفها بأنواعها وأنها لا تخرج عن كونها مهارة في اختلاس المعارف ،إما بتعرف بواطن الأمور من ظواهرها والاستدلال على الظاهر بالباطن، أو بما يلقيه ويقذفه الله – عز وجل – في رُوع بعض الملهمين والمُحَدَّثين من العلم الرباني، فيخبرونك عن الشيء، فيكونكما قالوا.

وعرفها الشريف الجرجاني بأنها: في اصطلاح أهل الحقيقة: هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب"(٣).

كماذكر القشيري في رسالته ما يوضح معنى الفراسة الإيمانية ويبين أنها من الحق – تعالى – فعرَّفهابأنها " خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده ،وله على القلب حكم، اشتقاقًا من فريسة السبع وليس في مقابلة الفراسة مجوزات للنفس ،وهى على حسب قوة الإيمان فكل من كان أقوى إيمانًا كان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بلفظ قريب ج٦ ص ٥٥ ، ط / دار الفكر العربي ، بدون تاريخ .
(٢) التفسير الكبير ج٢ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، للفخر الرازي ، المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤م .
(٣) التعريفات ص ١٤٥ .

أحد فراسة، وقال أبو سعيد الخراز من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وتكون مواد علمه من الحق بلا سهو ولا غفلة بل حكم حق جرى على لسان عبد، وقوله نظر بنور الحق يعني بنور خصه به الحق – سبحانه – وقال الواسطي إن الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب وتمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق – سبحانه – إياها فيتكلم على ضمير الخلق"(١).

حتى في كتب اللغة نجد هذا المعنى الاصطلاحي مشارًا إليه، يقول الزَّبيدي: "وقال ابن القطاع: الفراسة بالعين: إدراك الباطن وبه فسر الحديث: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ،وقال ابن الأثير: يقال بمعنيين أحدهما: ما دل ظاهر الحديث عليه وهو: ما يوقعه الله – تعالى – في قلوب أوليائه فيعلموا أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات، والثاني: نوع يعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس، وللناس فيه تآليف قديمة وحديثة"(٢)

فيفهم من كل ما سبق من تعاريف أن الفراسة الإيمانية مِنْحَةٌ من الحق – سبحانه وتعالى –للمؤمنين الصادقين وحدهم، لا للفجار ومن في حكمهم؛ لأنها من مقامات الإيمان فلا تكون إلا لمن صفت بواطنهم فأدركوا ما لا يتسنى لغيرهم أبدًا؛ إذ هي في اصطلاح أهل الحقيقة، كما قال الشريف الجرجاني: مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب.

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٨٠ ـ ١٨١ ط / محمد علي صبيح .
(٢) تاج العروس ج١٦ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

ولا غرابة في ذلك؛ لأن " أصل الفراسة أن بصر الروح متصل ببصر العقل في عيني الإنسان فالعين جارحة والبصر من الروح وإدراك الأشياء من بينهما، فإذا تفرّغ العقل والروح من أشغال النفس، أبصر الروح وأدرك العقل ما أبصر الروح، وإنما عجز العامّة عن هذا؛ لشغل أرواحهم بالنفوس واشتباك الشهوات بها، فشغل بصر الروح عن درك الأشياء الباطنة، ومن أكب على شهواته وتشاغل عن العبودية حتى خلط على نفسه الأمور وتراكمت عليه الظلمات كيف يبصر شيئًا غاب عنه"(1).

ومن ثم فإن هذه المنزلة تكون للخواص الذين يحفظون أبصارهم الحسية وبصائرهم القلبية من الشهوة وأدرانها؛ لأن التشاغل بالشهوات يعمي القلوب ويؤذيها كما تتأذىَ العين من الريح وأتربتها،فلا جرم يصابون بالعَمَه وتتراكم عليهم الظلمات فأنى يبصرون وكيف يدركون؟.

لأجل ذلك ربط الصوفية بين المعرفة والعمل ،فقد " ذكر بعض العلماء العارفين الذين عاملهم الله – عز وجل –بذلك أن لكل طاعة نوعًا من العلم يختص بها لا يترتب على غيرها، كما أن الثواب كذلك، والإلهام من جملة ما عجَّله الله – تعالى – من ثواب الأعمال الصالحة، فإن الله – تعالى – يعطي بها في الدنيا ويجازي بها في الأخرى، فلكل عمل منها إلهام يختص به،

---

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ج1 ص 63 ،نشر مكتبة الإمام الشافعي الرياض 1408 هـ 1988 م طبعة ثالثة ، وينظر تحفة الأحوذي ج8 ص 441 .

فأفضلها لأفضلها؛ لأنه من جملة ثوابها، وكذلك التوفيق للطاعات مرتب على فضائل الأعمال "(1).

ولكن كيف تنتج المعرفة من العمل ؟ يقول الدكتور سليمان دنيا: " لا غرابة في ذلك عند المتصوفة؛ لأن العمل الصالح يصقل النفس وينقيها من كدرة المعاصي التي ترين على القلب وتحول بينه وبين المعرفة ،فالنفس كالمرآة تصدئها المعاصي كما تصدئ الأوساخ المرآة، وتجلوها الطاعات كما تجلو النظافة المرآة، وإذا صفت النفس وصقلت انطبع فيها مما في اللوح المحفوظ ما تكون مستعدة له بأصل فطرتها "(2).

فالقلوب المجلوة المصقولة هي التي أمدها الله – تعالى –بالأنوار، فتفرست وأبصرت وشاهدت، والقلوب الكدرة – عياذًا بالله تعالى – هي المحجوبة؛ لأن أعينهم كانت في غطاء عن ذكر الحق – سبحانه – فلا يستطيعون سمعًا " تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ".

وبهذا يكون قد اتضح المعنى الاصطلاحي للفراسة الإيمانية، ولكن حتى تتم الفائدة فلا بد من الإشارة إلى أنواع الفراسة لا سيما وأن البعض من العلماء قد عرَّف الفراسة بذكر أنواعها، وهو ما سيظهر بمشيئة الله – تعالى – في المبحث الثاني.

---

(1) الفتاوى الحديثية ص ٢٨٥ لابن حجر الهيثمي ، ط / عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .
(2) التفكير الفلسفي في الإسلام ص ٣٣٣ ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

المبحث الثاني: أنواع الفراسة.

نستطيع أن ندرك مما سبق في تعريف الفراسة أنهالم تكن واحدة متفردة في نوع، بل تنوعت إلى أنواع منها ما هو وهبي من الله – عز وجل – يتحقق بما يلقيه – سبحانه – في قلوب الملهمين والمُحَدَّثين كما كانللفاروق عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –، ومنها ما يكون بتعلم ونحوه كالارتياض بالرياضات، ومنها فراسة خلقية، وفي هذا المعنى من أنواع الفراسة يقول ابن القيم:

" **والفراسة ثلاثة أنواع:**

إيمانية، وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصادق والكاذب، وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده يثب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحد فراسة... وكان الصديق – رضي الله عنه – أعظم الأمة فراسة وبعده عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ووقائع فراسته مشهورة فإنه ما قال لشيء: أظنه كذا إلا كان كما قال. ويكفي في فراسته: موافقته ربه في المواضع المعروفة "(١).

لذا فإن كثيرًا من الأئمة أدخلها من هذه الناحية في الكرامة؛ لأنها ترتبط أولاً وأخيراً في أسبابها ودواعيها بما يلقيه الحق – سبحانه وتعالى – في

---

(١) مدارج السالكينج ٢ ص ٤٨٢وما بعدها باختصار ، ط/ دار الفكر العربي .

قلوب أوليائه من كشف للحقائق، فيخبرون عن الأشياء التي يرونها ببصائرهم وعيون قلوبهم – كما مرّ –؛ لأنه إذا امتلأ القلب من نور الله – تعالى – نظرت عينا قلبه بنوره، فأبصر في صدره ما لا يحاط به وصفًا، فالفراسة من الله تعالى لعبده كائنة ([1]).

ويشهد لهذا ما جاء في الحديث من قوله – ﷺ: "قد كان في الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"([2]) وقد ذكر غير واحد من شراح الحديث وغيرهم أن المُحَدَّث هو الرجل الملهم يلقي الله – عز وجل – في قلبه الشيء، فيخبر به فراسة وحَدْسًا([3]) فيكون كما أخبر ،وكأنه حدثه الملأ الأعلى وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء ([4]).

وحقًا فإن لله أقوامًا إذا أرادوا أراد وإذا استنزلوا الفضل نزل، وهذا ليس غريبًا؛ لأنه هو عين ما أخبر عنه الحق – تعالى– في القرآن الكريم بقوله: عن أوليائه – سبحانه – " لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ"([5]) وبقوله – تعالى – في الحديث القدسي: " وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه،

---

(١) ينظر نوادر الأصول ج ٢ ص ٢٢٢ .
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥٥ .
(٣) الحدس : إدراك الشيء إدراكًا مباشرًا والفراسة ، يقال : قاله بالحدس ، المعجم الوسيط ج ١ ص ١٦١
(٤) ينظر فتح الباري ج ١٦ ص ٣٠ ، ط / مصطفى الحلبي ١٣٨٧هـ ١٩٥٩ م ، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ج٢ ص ٤٠ – ٤١ للعلامة الشنقيطي ط / مؤسسة الحلبي ، وتفسير روح البيان للبروسوي ج٤ ص ٤٨٠ .ط / دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م .
(٥) سورة الشورى الآية ٢٢ .

ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به....الحديث"(١).

فإذا كان سمعهم من الله وبصرهم من الله، فلا يسمعون إلا حقًا ولا يبصرون إلا صدقًا؛ لأنهم لمّا أحرقوا البداية بالمجاهدة والتجرد من العوائق والصوارف، أشرقت لهم النهاية فأصبحت قلوبهم محلاً لفيض النور الإلهي وانكشاف سر الملكوت.

وقد قيل إنه: كان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطئ. ويقول: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام بالمراقبة وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته"(٢).

وعلى ذلك فالفراسة الإيمانية تختلف عن غيرها من الفراسات الأخرى، لا سيما وأنه – كما فُهم مما سبق – أن " أصل هذا النوع من الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله – تعالى – لمن يشاء من عباده فيحيا القلب بذلك ويستنير ، فلا تكاد فراسته تخطئ. قال الله: " أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا"(٣) كان ميتًا بالكفر والجهل، فأحياه الله بالإيمان والعلم وجعل له بالقرآن والإيمان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ١٣١ كتاب الرقاق باب التواضع ط / دار الشعب .
(٢) مدارج السالكين ج ٢ص ٤٨٤.
(٣) سورة الأنعام (١٢٢) .

نورًا يستضيء به في الناس على قصد السبيل ويمشي به في الظلم. والله أعلم"(١).

ولا غروفي ذلك فإن هناك أقوامًا من البشر قد وهبوا ومنحوا " من قوة الملاحظة، ودقة النظر، وبعد التفكير، وإصابة الحَدْس ما يبهر العقول ويحير الألباب، ويدل على أن إمداد الله – تعالى – نفوس البشر بالمواهب الفطرية وإعدادها للكمالات والإفاضات الربانية ما لا يبلغ مداه ولا يدرك منتهاه "(٢).

من هنا قرر " أئمة الصوفية أن الفراسة موهبة دائمة في جميع الأوقات يحظى بها الولي كمنة إلهية، ونفحة ربانية، ويستخدمها متى شاء، فهي في أخلاق الصوفي وسلوكه وطبيعته؛ لأنه ينظر بنور الله؛ ولأن قلبه قد تَطَهَّر من الحظوظ والهوى فلم يعد ينظر ببصره وإنما ببصيرته ويلهم إلهامًا "(٣).

وإذا كانت الفراسة الإيمانية بهذه الصفة في حقيقتها ودواعيها فماذا عن الفراسة الرياضية ؟

النوع الثاني: الفراسة الرياضية.

وهذا النوع من الفراسة يقصد به: " فراسة الرياضة والجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن وغير المؤمن، ولا تدل على

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٨٦.
(٢) المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ص ٣٢ للشيخ محمد حسنين مخلوف ، مكتبة / مصطفى البابي الحلبي .
(٣) معجم ألفاظ الصوفية ص ٢٢٦ حسن الشرقاوي ، نشر مؤسسة المختار الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهال يغتر بها ،وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم، وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم "(1).

ومن الملاحظ على هذا النوع من الفراسة أنهمختلف تمامًا عن الذي سبقه؛ إذ الفراسة الإيمانية لا تكون إلا للأولياء ممن أحبهم الحق – سبحانه وتعالى – وأحبوه، فجعل لهم سمعًا من سمعه وبصرًا من نوره، وعلمًا من لدنه، فأشرقت بصائرهم، وأضاءت قلوبهم، وكل ذلك مِنَّة وكَرَمًا منه – سبحانه وتعالى –أما الفراسة الكسبية التي تكتسب بالرياضة والتحلي والتخلي، فإنها ليست خاصة بالأولياء بل حتى بالمؤمنين العاديين؛ إذ هي مشتركة بين المؤمن وغيره، وإلى جانب هذين النوعين للفراسة يوجد نوع ثالث وتوضيحه في التالي:

النوع الثالث: الفراسة الخَلْقية.

وهذه الفراسة قد كثرت فيها التصانيف من الأطباء وغيرهم، وهي لا ترجع إلى استبطان ما في النفوس بل المعول فيها على الظاهر فـ " استدلوا بالخَلْق على الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر وبعد ما بين جانبيه: على سعة خلق صاحبه واحتماله وبسطته ،وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها وضعف حرارة قلبه،

---

(١) مدارج السالكينج٢ ص ٤٨٦ – ٤٨٧ بتصرف يسير .

وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة وهو الشكل على شجاعته وإقدامه وفطنته وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها على خيانته ومكره وخداعه" ([1]).

وقد نقل هذا المعنى أهل اللغة في كتبهم، ففي تاج العروس: " وقال أهل الفراسة: إن صغر الرأس يدل على ضعف الرأي "([2]).

ويقول صاحب بلوغ الأرب: " والضرب الثاني من الفراسة يكون بصناعة متعلمة، وهي معرفة ما بين الألوان والأشكال، وما بين الأمزجة والأخلاق، والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفراسة، وهي من توابع العقل، وكلما كان العقل أكمل كانت الفراسة أقوى، ولهذا كانت العرب فيها أوفر نصيبًا من غيرهم " ([3]).

بل إن البعض قد حَكَّم هذا النوع من الفراسة في دلائل نبوة رسول الله – ﷺ – يقول ابن الوزير اليماني([4]): " وأما القسم الثاني وهي الأمور العائدة إلى ذاته، فهو مثل ما كان من الخاتم بين كتفيه... وما شوهد من خلقته وصورته التي يحكم علم الفراسة بأنها دالة على نبوته"([5]).

حتى في التعرف على النفوس الفاضلةوالجاهلة، ربط أهل الفراسة الخَلْقية بين الصورة الظاهرة والباطنة ،واعتبروه " أدل شيء على فضيلة النفس؛

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٨٧ .
(٢) ج١٣ص ٤٧٩ .
(٣) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .
(٤) ولد في رجب ٧٧٥ وتوفي عام ٨٤٠ هـ من كتبه : الروض الباسم ، إيثار الحق ، ينظر البدر الطالع للشوكاني ج٢ ص ٧٥ .
(٥) إيثار الحق على الخلق ص ٧٩ ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

لأن نورها إذا أشرق تأدى إلى البدن، وكل إنسان له حكمان أحدهما من قبل جسمه وهو منظره، والآخر من قبل نفسه، حتى قال بعض الحكماء: قلَّ صورة حسنة تتبعها نفس رديئة فنقش الخاتم منقوش الطين"(١).

يعني أن هناك تلازمًا بين المنظر والمخبر في الإنسان ونفسه الباطنة من حيث الجمال والقبح ظاهرًا وباطنًا؛ إذ الوجه والعين في الإنسان بمثابة المرآة التي تعكس وتحاكي صورة الباطن من حزن وسرور، وسكينة وغضب، وقبض وبسط.

وحول هذا المعنى من الإشراق الجسماني من النور النفساني والتعويل عليهما في المعرفة يقول الإمام الغزالي "... فالمنظر والمخبر كثيرًا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا: الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل: طلاقة الوجه عنوان ما في النفس، وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه الأحسن ما فيه. واستعرض المأمون جيشًا، فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال: الروح إذا أشرقت على الظاهر فصبَّاحة أو على الباطن ففصَّاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن "(٢).

---

(١) فيض القدير للشوكاني ج١ ص ٣٠٧ باختصار ، وينظر ص ٤٠١من نفس الجزء ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٩٤ م .
(٢) إحياء علوم الدين ج٤ ص ١٠٥ ،وينظر ميزان العمل ص ٣١ وما بعدها ، مكتبة الجندي .

كما كان الإمام الرازي واحدًا من الذين ذهبوا إلى الربط بين الصورة الظاهرة والباطنة في هذا النوع من الفراسة، وفي ذلك يقول عند ذكرهلأقسام هذا العلم:

"... القسم الثاني:وهو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، وتقرير هذا الكلام:أن المزاج إما أن يكون هو النفس، وإما أن يكون آلة للنفس في أفعالها، وعلى كلا التقديرين فالخَلق الظاهر والخُلُق الباطن لابد وأن يكونا تابعين للمزاج، فإذا ثبت هذا كان الاستدلال بالخَلق الظاهر على الخُلق الباطن جارياً مجرى الاستدلال بأحد المتلازمين على الآخر، ولا شك أن هذا نوع من الاعتبار صحيح – ثم يمثل الإمام الرازي لذلك – بغلظ الصوت وثقله عند الغضبان وخفته وحدته عند الخائف، فيقول: " إنا نشاهد أن الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته غليظًا جهيرًا، وعند استيلاء الخوف عليه يصير صوته حادًا خفيفًا"(1).

ويقول ابن القيم:" ومعظم تعلق الفراسة بالعين فإنها مرآة القلب وعنوان ما فيه، ثم باللسان فإنه رسوله وترجمانه، وبالاستدلال بزرقتها مع شقرة صاحبها على رداءته، وبالوحشة التي ترى عليها على سوء داخله وفساد طويته، وكالاستدلال بإفراط الشعر في السبوطة على البلادة، وبإفراطه في الجعودة على الشر وباعتداله على اعتدال صاحبه..."(2).

---

(1) الفراسة ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٨ بتصرف ، تح مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن .
(2) مدارج السالكين ج ٢ص ٤٨٧ .

يتضح لنا مما سبق أن الفراسة الخَلْقية استدلال بالصورة الظاهرة على الصورة الباطنة وأن هناك ارتباطًا بين الخَلْق والخُلُق، فما اعتدال الصورة الظاهرة إلا من اعتدال الصورة الباطنة (المزاج والروح) فاعتدالهما كاعتدال الظل لاعتدال عوده.

يقول الحافظ السيوطي(1):"... وقل أن ترى بدنًا قبيحًا وشكلاً شنيعًا إلا وجدته مركبًا على نفسٍ تشاكله وتناسبه، وقل أن ترى آفة في بدنه وفي روح صاحبه آفة تناسبها، ولهذا تأخذ أصحاب الفراسة أحوال الناس من أشكال الأبدان، وقل أن ترى شكلاً حسنًا وصورة جميلة وتركيبًا لطيفًا إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له "(2).

يفهم من نص الجلال أن هناك تناسبًا – كما سبق – بين الصورة الظاهرة والباطنة حسنًا وقبحًا، فالآفة التي تصيب الظاهر تراها نفسها أصابت الباطن، وأن هذا أصبح مصدر معرفة لأصحاب الفراسة حتى قالوا: " ومن المواهب التي أعطاها الله مالكًا أيضًا قوة الفراسة والنفاذ إلى بواطن الأمور، وإلى نفوس الأشخاص يعرف ما تكن نفوسهم من حركات جوارحهم ومن لحن القول، ولقد قال أحد تلاميذه: كان في مالك فراسة لا تخطيء "(3).

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الحافظ اللغوي الفقيه ، بحر العلوم ، ولد عام ٨٤٩ هـ ، وتوفي عام ٩١١ ، ينظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٠١ – ٣٠٢ .
(2) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص ٣١٨ تح عبد المجيد طعمة حلبي ، نشر دار المعرفة لبنان ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
(3) فقه العبادات على المذهب المالكي ص ١٨ كوكب عبيد ط / الإنشاء بدمشق الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

ولكن لا يمكن أن نجعل الظاهر صورة الباطن دائمًا باطراد؛ لأنه لا يمكننا لو رأينا إنسانًا أفطس الأنف أسود الوجه كأن شعره زبيبة أن نقول عنه إن باطنه كذلك، فالتلازم بين الظاهر والباطن إن وجد في شخص تَخَلَّفَ في آخر، وإن تفرس به أحد في أحد فهي فراسة ظنية تصيب وتخطئ؛ لأن مبعثها ومصدرها ليس يقينيًا، والفارق بينها وبين الفراسة الإيمانية ظاهر لا يخفى على أحد، والمدار والمعول على صلاح القلب واستقامته؛ لأنه كما قال – ﷺ – " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"(1) فالقلب هو موضع النظر من الرب – تعالى –للعبد، وإلا فهل كل أصحاب رسول الله – ﷺ– وقد جعل الله قلوبهم أنقى القلوب بعد قلوب الرسل – اتصفوا بجمال الصورة من بياض وحمرة واعتدال للصورة الظاهرة من أنف وفم وطول وقصر وبدانة ونحالة وغير ذلك ؟.

المهم أن المتوسمين لهم علامات يعرفون بها، لكنها ليست ثابتة في جميع الصور الظاهرة، حتى في فراسة سيدنا أبي بكر في استخلاف سيدنا عمر، وجد من العلماء من بين علامتها الحقيقية، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي:

" وقال عبدالله بن مسعود: أحسن الناس فراسة ثلاثة؛ العزيز حين تفرس في يوسف فقال: "عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً" وبنت شعيب حين قالت لأبيها في موسى: "اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ"، وأبو بكر حين استخلف عمر. قال ابن العربي: عجبًا للمفسرين في اتفاقهم على جلب

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٢١٩ كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث رقم ١٥٩٩ ط/ دار الجيل .

هذا الخبر، والفراسة هي علم غريب وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصديق إنما ولى عمر بالتجربة في الأعمال، والمواظبة على الصحبة وطولها، والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمنة، وليس ذلك من طريق الفراسة؛ وأما بنت شعيب فكانت معها العلامة البينة على ما يأتي بيانه في "القصص". وأما أمر العزيز فيمكن أن يجعل فراسة؛ لأنه لم يكن معه علامة ظاهرة. والله أعلم"(١).

ومعنى ذلك أن هناك أسبابًا للفراسة وليس الأمر على عواهنه بمجرد الربط بين صورة ظاهرة وصورة باطنة ،وفي ذلك يقول ابن القيم: " وللفراسة سببان أحدهما: جودة ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته، والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه. فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطىء للعبد فراسة، وإذا انتفيا لم تكد تصح له فراسة، وإذا قوي أحدهما وضعف الآخر: كانت فراسته بين بين، وكان إياس بن معاوية من أعظم الناس فراسة وله الوقائع المشهورة، وكذلك الشافعي – رحمه الله – وقيل: إن له فيها تآليف ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أمورًا عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سفرًا ضخمًا "(٢).

وبعد الحديثعن الفراسة تعريفًا وأنواعًا نجد أنفسنا بحاجة إلى سؤال مُلح عن الفراسة الإيمانية – باعتبار أنها نوع من الإلقاء الرباني في رُوع الأصفياء ممن أحبهم الحق – تعالى – وأحبوه، هل تعد بهذا الوصف علمًا للغيب ؟ هذا ما سيظهر بمشيئة الله – تعالى – في الفصل الثاني:

---

(١) تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٦٠ .
(٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٨٩ .

الفصل الثاني

صلة الفراسة بعلم الغيب وحجيتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفراسة وعلم الغيب.

تبين مما سبق أن الفراسة الإيمانية تختلف عن غيرها من الفراسات الأخرى؛ إذ هي منحة من الله – تعالى –لأوليائه الذين صدَّقوا برسله – عليهم الصلاة والسلام – ولازموا سننهم، فأكرمهم الحق – تعالى – بكشف الخفايا وعلم الأسرار، فهل تكون الفراسة بذلك علمًا للغيب؟(1)

من الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله – تعالى – هو المتفرد بعلم الغيب؛ لأن ذلك هوالثابت بغير آية من القرآن الكريم كقوله – تعالى –: " قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ"(2)لذا كان طبيعيًا أن نجد رسل الله وأنبياءه – عليهم الصلاة والسلام – ينفون بأقوالهم عن أنفسهم علم الغيب، فنطق لسان حالهم ومقالهم جميعًا بقول الحق – سبحانه – على لسان أحدهم –

---

(1) الغيب : بالفتح وسكون الياء هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل ، كشاف اصطلاحات الفنون ج ٣ ص ٣٨٨ ، وينظر التعريفات للجرجاني ص ١٤٣ .

(2) سورة النمل الآية : ٦٥ .

عليهم السلام -: "وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ"(١).

وعليه فإن نسبة علم الغيب المطلق لمخلوق- مهما كان - يعد شركًا بالله - تعالى -؛ فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لا يعلمون الغيب، وأن ما يعلمونه إنما يكون بتعليم من الله - تعالى - لهم إما بالوحي، أو الإلقاء والنفث في الروع، أو الرؤيا الصادقة، أو بأي صورة من صور الوحي، كذلك الحال لغير الأنبياء من الملائكة والجن وباقي البشر غير الأنبياء من المُحَدَّثين الملهَمين، وبه يدرك الفرق بين تعليم الأنبياء وغيرهم.

يقول الإمام الغزالي: " والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علمًا نبويًا، والذي يحصل عن الإلهام يسمى علمًا لدنيًا(٢)، والعلم اللدنيّ هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف، فالوحي حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء "(٣).

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٨ .

(٢) العلم اللدني : هو العلم الذي تعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك ونبي ، بالمشافهة والمشاهدة ،كما كان الخضر عليه السلام قال -تعالى- : "وعلمناه من لدنا علمًا " كشاف اصطلاحات الفنون ج ٤ ص ٤١٧ .

(٣) الرسالة اللدنية ضمن مجموعة القصور العوالي من رسائل الغزالي ص ١١٦ باختصار ، نشر مكتبة الجندي بالحسين .

ويقول ابن عجيبة الحسني([1]): "والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور، اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله([2])".

وهذا العلم الذي ينكشف من الغيب أو العلم اللدنيأمر مقرر في الإسلام، منذ لحظاته الأولى، فقد كان الصحابي الجليل أبو الدرداء الأنصاري – رضي الله عنه – يقول: " المؤمن ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، والله إنه للحق يقذفه الله – تعالى – في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم "([3]).

فليس من الإنصاف إذن حصر هذا العلم الرباني في الصوفية وحدهم ،بل هو معتبر حتى عند المتكلمين من معتزلة وأشاعرة، حيث إنهم قرروا أن فاعل العلم هو الله – تعالى –حتى قال القاضي عبد الجبار: " إن كل ما على المكلف فعله أو تركه قد ركب الله – تعالى – جُمَلَه في العقول "، كذلك الأمر عند الأشاعرة والماتريدية، فالعلم ليس واقعًا بالنظر أو بقدرتنا، بل بخلق الله – تعالى – كما صرح العضد في المواقف، وأن من طرق الهداية عند الماتريديةالهداية بكشف الله تعالى على قلوبهم السرائر كما هي عليه وإلقائها بطريق الفيض "([4]).

---

(١) أحد أعلام التصوف السني في القرن الثاني عشر الهجري بالمغرب توفي عام ١٢٢٤ هـ راجع الأعلام للزركلي ج١ ص ١٤٥
(٢) نقلاً عن مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيحج٢ ص ٩٠ لملا علي القاري.
(٣) قوت القلوب ج ١ ص ٢٤١ لأبي طالب المكي ط / مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م.
(٤) أصول التصوف الإسلامي ص ١١٤ – ١١٥ د / يحيى هاشم فرغل ، ط / الجبلاوي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٣ م ، وينظر المواقف ص ١٢ ط / المتنبي بالقاهرة ، وشرح المقاصد ج ٢ ص ٢٣٧ ، وحاشية الدواني على العقائد العضدية ص ٧٣ وما بعدها ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ .

فهي إذن علم ينكشف من الغيب لكن مع التأكيد وتكرارالقول أن من ادّعى علم الغيب المطلق كان مشركًا بالله – تعالى –، فالفراسة على ذلك لا تعد علمًا للغيب؛ لأنها – أعني الفراسة الإيمانية – لا تخرج عن كونها كرامة خارقة للعادة، والكرامة ليست فعلاً للولي ،كما أن المعجزة ليست فعلاً للنبي، وإنما هي فعل الله تعالى، وهي عند أهل السنة ممكنة عقلاً وواقعة فعلاً، يقول الإمام اللقاني:

وأثبتن للأولياء الكرامة ∴ ومن نفاها فانبذن كلامه(1).

كما أن هناك من ذهب من السادة الأشاعرة إلى أنه " يجوز في الكرامة أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ،ولو كقلب العصا حية، وكوجود ولد بغير أب، إلا بمثل القرآن مما خرج من المعجزات إلى باب الاختصاص.قاله السعد والنووي"(2).

وعليه فلا يلتفت إلى قول من أنكرها، أو اتهم بها قومًا أنهم يدعون علم الغيب ومعرفة ما يكون، أو نَسَبَه إلى جميع الصوفية دون استثناء(3)، مع عدم الأخذ في الاعتبار بالثابت شرعًا بغض النظر عن صدق قوم أو كذبهم.

---

(1) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢٩٤ ، ط / قطاع المعاهد ١٩٩٨ م .
(2) حاشية السباعي على شرح الخريدة ص ١٥٦ ، ط / العامرة المليجية ، الطبعة الأولى ١٣٣١ هـ .
(3) فقد ذكرت مجلة البحوث الإسلامية ج٤١ ص ١٩٠ : أنه قد " غلا الصوفية في الفراسة حتى جعلوها مصدرًا من المصادر الأساسية للمعرفة حتى حكموها في أمور الديانة " ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

يقول شارح المقاصد: "وبالجملة ظهور كرامات الأولياء يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء، إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط، ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيء مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات، فوقعوا في أولياء الله – تعالى –أصحاب الكرامات يمزقون أديمهم، ويمضغون لحومهم ،لا يسمونهم إلا باسم الجهلة المتصوفة، ولا يعدونهم إلا في عداد آحاد المبتدعة قاعدين تحت المثل السائر: أوسعتهم سبًا وأودوا بالإبل، ولم يعرفوا أن مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة " (1).

وأصل ما يقول شارح المقاصد من الثوابت في العقيدة الإسلامية، غاية الأمر أنه يجب أننميز في المسألة وفي هذا الإلقاء أو هذه المعرفة التي تلقى في القلب بين كونها من الله – تعالى– ونسميها كرامة، وبين كونها من ذات الولي، فهذا الأخير لا نعرفه من شرعنا ولا نلتفت إلى من يزعمه؛ لأن الولي كسائر الخلق يَعْجِزُ أن يفعل من ذاته أقل القليل، فكيف يكون يعلم الغيب ؟عندها لا نطلق القول على عواهنه ونلصقه بالصوفية الذين يبدعونهم ويجهلونهم لما يقولون بالكرامات والتي منها الفراسة الإيمانية التي هي من الله – تعالى – في مجمل أمرها ومفصله.

وإلا فإن الإنصاف والعدل يحتمان عليهم أن يبدعوا ويجهلوا ابن القيم كذلك؛ إذ نسب لشيخه ابن تيمية ما يفوق الوصف في هذاالشأن، وهاكم ما قال:

---

(1) شرح المقاصد ج٥ص ٧٥ .

"... ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أمورًا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفرًا ضخمًا، أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا فيقال له: قل: إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، وسمعته يقول ذلك. قال: فلما أكثروا عليّ قلت: لا تكثروا كتب الله – تعالى – في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام. قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر"(١)أ هـ.

والخلاصة بعيدًا عن الدخول في جدل من هذا النوع أن الله – تعالى – أخفى الغيب المطلق عن الخلق أجمعين، وفي نفس الوقت أطلع بعضًا من عباده على بعض الغيب أصالة وهم الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أو تبعية وهمالأولياء الأمناء أصحاب الفراسة الصادقة، بالقدر الذي تقتضيه حكمته – تعالى – من الإظهار للغيب، عندها ينظرون بنور الغيب نظرًا حقًا، ويكون معجزة بالنسبة للأنبياء – عليهم السلام – وكرامة للأولياء، فلم يطلع على الغيب كل أحد، وإنما من ارتضاه رسولاً، أو اتخذه وليًا.

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٤٨٩ .

ومعنى ذلك أن هذا النظر الصادق في الغيب لا يمكن بحال أن يكون من عندياتهم ولا حتى بعنصرهم البشري؛ لأنه أمر خارج عن القانون البشري، والواجب علينا أن نتجرد تمامًا من النظر للأمور بعين السخط التي لا ترى إلا المساوئ والعيوب، فالمسألة لا يردها عقل ولا شرع، يقول ابن عطاء الله السكندري([1])- رحمه الله -:

" واعلم أن اطلاع أولياء الله على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل...، وحكايات الأولياء في كل عصر ومصر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده، ثم أنا أدلك - رحمك الله - على أمر يسهل عليك التصديق بذلك وهو أن اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجسمانيته ولا وجود صورته، وإنما هو بنور الحق فيه، دليل ذلك قوله - ﷺ - " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ([2])" فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد أن شهد له الرسول -ﷺ -أنه إنما ينظر بنور ربه لا بنور نفسه "([3]).

وفي هذا المعنى يقول الألوسي مبينًا أن الأمر شرعي صرف، وأنه مخلوق من الله - تعالى - في قلوب أصفيائه، وذلك عند قول الحق - تعالى: " يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً "([4]): "يا أيها الذين آمنوا إن

---

(١) فقيه مالكي وصوفي شاذلي ، ولد عام ٦٥٨ هـ وتوفي عام ٧٠٩ ودفن بالمقطم بالقاهرة ، قال عنه الذهبي : كانت له جلالة ووقع في النفوس ، راجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج١ ص ٩٢ .
(٢) سبق تخريجه في المقدمة ص ١ .
(٣) لطائف المنن ص ١٢٤ ـ ١٢٧ تح د / عبد الحليم محمود ، مطبعة حسان .
(٤) سورة الأنفال الآية : ٢٩ .

تتقوا الله " بالاجتناب عن الخيانة والاحتجاب بمحبة الأموال والأولاد، يجعل لكم فرقانًا، نورًا تفرقون به بين الحق والباطل وربما يقال: إن ذلك إشارة إلى نور يفرقون به بين الأشياء بأن يعرفوها بواسطته معرفة يمتاز بها بعضها عن بعض، وهو المسمى عندهم بالفراسة"(1).

ويقول: "لكن ذكر في أسرار القرآن أنه – تعالى – كسا أنوار جلاله أفئدة الصديقين فيرون بأبصار قلوبهم ما يجري في صدور الخلائق من المضمرات والخطرات كما يرون الظواهر بالعيون الظاهرة وقد جاء " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى "(2).

وهذا هو ما أبرز الإمام الغزالي سببه عند الصوفية في ميلهم إلي العلوم الوهبية وطريقها في المعرفة إذ يقول:

" اعلم إن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله – تعالى –ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا الاستعداد

---

(1) روح المعاني ج9 ص 209 ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت .
(2) المصدر السابق ج12 ص 17

بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله – تعالى – من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا، والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله – تعالى –فمن كان لله كان الله له "(١).

أَبَعْد هذا البيان الشافي من الإمام الغزالي – الذي بيَّن فيه سبب عناية الصوفية بالعلم الرباني، غير المأخوذ من الكتب، بل الممنوح من الله – تعالى – بما يفيضه من بحر جوده على قلوبهم النقية، ونفوسهم الزكية، التي علمت بقربها من أنوار ربها الحق حقًا فاتبعته، والباطل رجسًا فهجرته –يبقي شيء في نفس متحامل على القوم، فيتهمهم أنهم يدعون علم الغيب، وأنهم ضُلاَّل وجُهَّال، وأنهم مبتدعون؟!!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

فإضافة لما قاله ابن القيم في الفراسة وفراسات شيخه، فإن ابن تيمية نفسه قد أنصف المعتدلين من الصوفية في هذا الشأن، إذ يقول:"... كما أن طائفة من السالكين إذا استوى عنده الأمران في الشريعة رجح بمجرد ذوقه وإرادته، فالترجيح بمجرد الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر

---

(١)إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٠ط / دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧ ه ١٩٨٧ م.

لا يقول به أحد من أئمة العلم والزهد، فأئمة الفقهاء والصوفية لا يقولون هذا"(1) يعني أن الذين يرجحون بالذوق ليسوا الأئمة منهم.

والسبب في ذلك أن الصادقين من الصوفية في هذا الكشف الرباني لا يطلبونه لذاته في عباداتهم ورياضاتهم، وإنما يطلبون الله – تعالى – وحده وإلا كانت عباداتهم معلله، ومن ثم فإن ما يحصل لهم من الفراسة والكشف إنما هو بالعَرَض لا بالذات، أي أنه ليس مقصودًا لذاته عندهم ولا يولونه اهتمامًا(2).

لكننا إذا اعتبرنا الفراسة الإيمانية نوعًا من الكشف والإلقاء الرباني والعلم اللدنيالوهبي، فهل هناك كشوف غير ربانية ؟ وهل تدخل الفراسة الإيمانية في نطاقها ؟ إن هذا يحتم علينا أن نفرق بين نوعين من الإلقاء حتى لا يختلط الأمر بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وهذا يظهر في التالي:

الإلقاء الرباني والإلقاء الشيطاني:

لا يختلف اثنان من المنصفين على أن هناك علامات لأولياء الرحمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،كإيمانهم بالله – تعالى –واستقامة ظواهرهم وبواطنهم، ومن ثم فإن تفرسهم وكشفهم نتج من استقامتهم بتقوى الله – عز وجل – وطاعة أمره، مع كون الكشف والتفرس ليس مطلوبًا لهم، وإلا ما اتخذهم الله – تعالى – أولياء وأفاض عليهم من نوره، ولكن – ومع ذلك – هناك من تزي بزي الصالحين وادعي أنه مكاشف، وأخبر الناس أنه يعلم كذا

---

(1) مجموع الفتاوى ج10 ص 472 .
(2) راجع مقدمة ابن خلدون ص 191 ـ 192 .

وكذا من الأمور الغائبة عن الناس، مما جعل الكثير من الناس يقدح في هذه المنزلة الرفيعة، ويشكك فيها ويربط بينها وبين الدجل والوهم.

يقول الأستاذ محمد فريد وجدي: " وقد توسع المتكلمون في هذا العلم، فجعلوه دالاً على الأمور الغيبية التي قدرت على الإنسان، فاختلط بكثير من الأوهام وتعاطاه الدجالون لكسب الحطام، فخرج عن موضوعه ولحق بالشعوذة"(١).

لكن عندما نحللالقضية بالعلم الشرعي، نفرق بين نوعين من الكشف والإلقاء، **أولهما**: الإلقاء الرباني الذي يلقيه الحق – تعالى – في قلوب أحَبَتْه، وأفاض عليها وكساها بنور الجلال والعلم الرباني، فتنورت وشاهدت وأخبرت، وأصحاب هذه المنزلة لهم مكاشفاتوإلهامات صحيحة صادقة، كالتي كانت لكثير من الصحابة ومن اهتدى بهديهم من الأولياء والصالحين.

وثانيهما: إلقاء شيطاني يكون للكهان والمنجمين(٢) ومن على ضربهم من أحزاب الشيطان وجنده، وهؤلاء كاذبون وإن صدقوا ،" قال الجنيد: قعد عليّ غلام نصراني متنكرًا، وقال أيها الشيخ: ما معنى قوله – عليه السلام –: " اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله "؟قال: فأطرقت رأسي، ورفعت، فقلت: أسلم. أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ص ١٩٦ ط / دار الفكر .
(٢) الكاهن كل من يتعاطى علما دقيقا ومن العرب من كان يسمى المنجم والطبيب كاهنا، المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٠٣ .

فهذا إما بطريق الفراسة أو بغيرها من أنواع الكشوف، فمثل هذا العلم والوقوف على أحوال الناس لا يحصل إلا بإخبار الله – تعالى –وإلا فكل ولي متحير في أمره وأمر غيره، وخرج من البين أهل الكهانة والتنجيم؛ لأنهم ليسوا من أهل الارتضاء والاصطفاء كالأنبياء والأولياء، فليس إخبارهم بطريق الإلهام والكشف بل بالظنون ونحوها؛ ولذا لا يقع أكثرها إلا كاذبًا"(١).نعم وحقًا، فالفرق بين الإلهام الرباني، وما يلقى عن طريق الأبالسة والشياطين ظاهر وجلي، فهو أجلى من شمس الظهيرة ولا يخفى إلا على من طمست بصائرهم، فلم يستطيعوا أن يميزوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن لا يصلون إلى هذه المنزلة إلا بعد التحقق بشرائط شرعية، والتزام كامل بالأمر والنهي.

يقول الإمام الغزالي: " واعلم أن العلم اللدني وهو سريان نور الإلهام، يكون بعد التسوية كما قال –تعالى–:"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا"(٢)وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر من أكثرها،

والثاني: الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة، فإن النبي – ﷺ – أشار إلى هذه الحقيقة، فقال: "من عمل بما علم أورثه الله العلم بما لم يعلم"(٣)

(١) تفسير روح البيان ج١٠ ص ٢٠١ .
(٢) سورة الشمس الآية : ٧ .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١٠ ص ١٥ ط / السعادة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، وذكره العجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس ج ٢ ص ٣١٦ ، ت / عبد الحميد=

وقال النبي – ﷺ–: " من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه "(١).

الثالث: التفكر فإن النفس إذا تعلمت وارتاضت بالعلم، ثم تتفكر في معلوماتها بشروط التفكر ينفتح عليها باب الغيب كالتاجر الذي يتصرف في ماله بشرط التصرف ينفتح عليه أبواب الربح، وإذا سلك طريق الخطأ يقع في مهالك الخسران "(٢).

وفي الحقيقة أن ما ذكره حجة الإسلام يغني عن أي تعليق أو توضيح، بعد أن ذكر أن أولياء الرحمن لا ينفتح لهم باب الغيب من الله – تعالى – إلا بعد قطع هذه الأشواط من العلم والتحلية والتخلية، وهو عين ما أشار إليه الدكتور عبد الحليم محمود بقوله: " والمنصرف بفكره إلى الله مستديمًا لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف(٣)، والعارف لا يصبح عارفًا فجأة أو دون مجهود واكتساب، وإنما لا بد له من السير في طريق صعب المرتقى "(٤).

=هنداوي، ط / أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م ، وقال عنه المحقق موضوع ، كذا قال الألباني في السلسلة .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٨٠ ت كمال الحوت ، نشر مكتبة الرشد بالرياض ، ط / أولى ١٤٠٩ هـ ، ورواه ابن الأثير في جامع الأصول من أحاديث الرسول ج١١ ص ٥٥٧ حديث رقم : ٩١٦٥ ت عبد القادر الأرناؤوط ط / دار الفكر بيروت – لبنان طبعة ثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م والسخاوي في المقاصد الحسنة بسند ضعيف ج ١ ص ٢٦٠ نشر دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٥ م .

(٢) الرسالة اللدنية ص ١٢١ – ١٢٢ .

(٣)العارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه ، وبالحكمة المودعة في نظام العالم ، شرح نهج البلاغة ج٦ ص ٣٦٦ .

(٤) التفكير الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٢٠٢ – ٢٠٣ باختصار ، وينظر فلسفة ابن الطفيل ورسالته حي بن يقظان ص ٣٧ – ٣٨ نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون .

ويقول ابن تيمية:"فكل من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعًا لما جاء به الرسول - ﷺ - لا يجعل ما جاء به الرسول تبعًا لما ورد عليه، وهؤلاء الذين أخطأوا، وضلّوا، وتركوا ذلك، واستغنوا بما ورد عليهم، وظنوا أن ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول، فيقال له: ما ورد عليك فمن أين لك أنه وحي من الله ؟ ومن أين لك أنه ليس من وحي الشيطان ؟.

والوحي وحيان: وحي من الرحمن، ووحي من الشيطان قال -تعالى- :"وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ "(١). وقال -تعالى-: "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ"(٢) وقد كان المختار بن أبى عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس قيل لأحدهما: إنه يقول: إنه يوحى إليه. فقال: " وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ"(٣).

وهناك الكثير والكثير من النصوص التي تبرز الفرق بين هذين النوعين من الإلقاء، وعلى أيهما يعول المؤمنون ! ولكن بعد التفرقة بين الإلقاء الرحماني والإلقاء الشيطاني، فالسؤال الذي يطرح نفسه: ما الدلائل والأسانيد التي تحمل على الاعتراف بكشوفات من نوع الفراسة الإيمانية ؟ وما السبيل إلى

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢١ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢١ .
(٣)مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٧٤ ـ ٧٥ باختصار تحقيق: أنور الباز ـ عامر الجزار ، نشر : دار الوفاء ، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ وينظر الفرقان بين الحق والباطل ص ٥٦

التصديق بهذا النوع من الفراسة ؟تظهر الإجابة على ذلك بمشيئة الله – تعالى – في التالي.

أدلة وصور لوقوع الفراسة الإيمانية:

إننا إذ نتحدث عن نوع من الفراسة بهذه الصفة لا بد من ربطه بالشرع حتى لا يقدح فيه قادح، ولا شك أن المؤمن الذي ينظر بنور الله – تعالى – لا يقع له ذلك إلا من تقوى الله – تعالى – والعمل بالعلم الذي يوصل إليهوإلى مرضاته – سبحانه –قال – تعالى –: " وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ"(١)فلا يحصل العلم اللدني أو الرباني إلا بالعمل بالعلم الاكتسابي؛ لأن من عمل بما علم من العلم الكسبيأورثه الله علم ما لم يعلم من العلم اللدني.

" والكتب السماوية وعلى الخصوص القرآن توجه دائمًا نظر الإنسان إلى أن وراء العقل معرفة لدنية تفيض على الإنسان فيضًا عن طريق اتصال مباشر بالله، أو عن طريق غير مباشر (جبريل) وفي القرآن ذكر للخضر – عليه السلام – وهو عبد من عباد الله آتاه الله من لدنه علمًا "(٢).

يقول ابن خلدون: " ثم إن القرآن والسنة شاهدان بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلُّم،قال –تعالى–: " وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" وقال رسول الله– ﷺ: " اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله "(٣).

---

(١) سورة البقرة الآية :٢٨٢ .
(٢) فلسفة ابن الطفيل ص ٣٧ – ٣٨ د / عبد الحليم محمود .
(٣) شفاء السائل وتهذيب المسائل ص ٦٣ – ٦٤ باختصار تح محمد مطيع الحافظ ط / دار الفكر .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أن " المشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقًا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء، فقال: ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك.وهذا أعدل المذاهب في ذلك فإن إجابة الدعوة في الحال، وتكثير الطعام والماء، والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جدًا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة"([1]).

وبهذا وقعت الكرامات والكشوف ومنها الفراسة الإيمانية الصادقة بالإخبار بما غاب عن الحس، مثل ما كان منمناداة سيدنا عمر – رضي الله عنه – لسارية بن زُنَيْم – رضى الله عنه – وسماع سارية نداءه رغم بعد المسافة بينهما قائلاً: يا سارية الجبلَ الجبلَ([2])، وكذلكما أخبر به الصديق – رضى الله عنه – لما حضرته الوفاة – السيدة عائشة – رضي الله عنها– أن بنت خارجة ستلد جارية– يعني بنتًا–فولدت بعد وفاته – رضي الله عنه – أم كلثوم بنت أبي بكر.

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن أبا بكر لما حضرته الوفاة دعاها، فقال: إنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إلي غنى منك، ولا أعز علي فقرًا منك، وإني كنت نحلتك من أرض بالعالية

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٣٨٣ .
(٢) راجع شرح العقائد النسفية ص ١٤٠ ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، من دون .

جداد يعني: صرام عشرين وسقًا، فلو كنت جددته تمرًا عامًا واحدًا انحاز لك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك. فقلت: إنما هي أسماء، فقال: وذات بطن ابنة خارجة قد ألقي في رُوعي أنها جارية، فاستوصي بها خيرًا، فولدت أم كلثوم([1]).

فهذا كله من الفراسة الإيمانية بإلقاء وتعليم من الله – تعالى – يقول التاج السبكي في ذلك:" وفيه كرامتان لأبي بكر – رضى الله عنه – إحداهما: إخباره أنه يموت في هذا المرض حيث قال: وإنما هو مال وارث، والثانية: إخباره بمولود يولد له وهو جارية (بنت) والسر في ذلك استطابة قلب عائشة – رضى الله عنها – في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه، وإعلامها بمقدار ما يخصها، لتكون على ثقة فأخبرها بأنه مال وارث، وأن معها أخوين وأختين"([2]).

فسبب هذا العلم الرباني الذي يلقى في القلب هو العمل بالعلم الاكتسابي؛ لأن العلم المقصود من الحديث السابق وهو " من عمل بما علم أورثه الله العلم ما لم يعمل " هو علم الإفهام كما قال – تعالى –: " فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ"([3])، وكعلم الخضر.

وقد قال النبي –ﷺ–: إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح ، فقيل: وما علامة ذلك ؟ فقال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٣٨ ط/ دار التحرير بالقاهرة .
(٢) نقلاً عن كشف اللثام عن تصوف المظلل بالغمام ﷺ ص ٤٣٥ – ٤٣٦ د / محمد سيد سلطان ، نشر دار جوامع الكلم الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م .
(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٩ .

والاستعداد للموت قبل دخوله، ومن تجافى عن الدنيا كشف عن سره الحجب، فصار الغيب له شهودًا([1]).

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: كيف أصبحت يا حارثة ؟ فقال أصبحت مؤمنًا بالله – تعالى –حقًا. قال: انظر إلى ما تقول فإن لكل قول حقيقة، فقال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فكأني بعرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها، فقال النبي – ﷺ –: أبصرت؛ فالزم ، وفي رواية: أصبت؛ فالزم، عبد نور الله – تعالى – الإيمان في قلبه ([2]).

فأخبر في هذا الحديث أن من استقام بعد الإيمان بالله – تعالى – وراقب ربه وعبده كأنه يراه، وعمل بما علم نوَّر الله – تعالى – قلبه، ومن نور الله قلبه كوشف عن كثير من أحوال الغيب، وعلم ما لم يتعلم من جهة اليقين فيما تعلم، لا أنه يعلم أشياء من الأحكام، وغيره من غير اجتهاد في تعلمه، حتى يعلم القرآن، وأخبار الرسول – ﷺ –، وأحكام الدين من غير تعلم، ليس كذلك، ولكن يكاشف وينهتك الحجب بينه وبين كثير من أحوال الغيب، فلا

---

(١) أخرجه الحافظ السيوطي في الدر المنثور ج٥ ص ٣٢٥ ط / دار المعرفة – بيروت .
(٢)أخرجه البزار في مسنده ج ١٣ ص ٣٣٣ ت / محفوظ الرحمن زين الدين وآخرين ، نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة الطبعة الأولى ١٩٨٨ م .

يتعرضه الشكوك، ولا ينازعه الخواطر في الحق، وبيانه كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: إن الحق ينطق على لسان عمر (1).

إنهم منورون من الله – تعالى – لصدق إيمانهم، والعمل بعلمهم، وسعيهم نحو مرضاة ربهم، فسرى النور في ظواهرهم وبواطنهم فأخبروا بما خلف الجدار، وكوشفوا عن الكثير من أحوال الغيب " ولأجل هذا النور كان أصحاب النبي– ﷺ – أكمل الناس إيمانًا؛ لأنهم لمّا تلقوا الإيمان عن النبي– ﷺ – كانت أنواره السارية في نفوسهم أقوى وأوسع "(2).

كذلك عثمان بن عفان– رضي الله عنه – صادق الفراسة، قال أحد الصحابة–رضي الله عنهم– دخلت على عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وكنت رأيت امرأة في الطريق تأملت محاسنها، فقال عثمان– رضي الله عنه – يدخل عليّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر في عينيه؟ فقلت: أوحي بعد رسول الله؟ فقال: ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة، وفراسة الصحابة – رضي الله عنهم – أصدق الفراسة "(3)

(1) أخرجه الترمذي في سننه ج5 ص 576 – 577 كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،رقم 3682 وأخرجه الحاكم في المستدرك ج3 ص 87 كتاب معرفة الصحابة باب إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ط / الهند ، ينظر بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي ج1 ص 102 باختصار ، والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ص 229 .

(2) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ج11 ص 102 ، الطبعة التونسية ..

(3) ينظر الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص 30 مطبعة السنة المحمدية 1372 هـ 1953 م .

ولكن مع كل ذلك لا يقال عن الأولياء أهل الفراسة الإيمانية: إنهم يعلمون الغيب الذي تفرد الحق – سبحانه – بالاستئثار بعلمه، فالذي ندين لله – تعالى – به أن من"زعم الإشراف على الخلق يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله – بغير الوحي المنزل من قول رسول الله – ﷺ – فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم – بغير الوحي من قول الله وقول رسوله – فقد باء بغضب من الله. و " الفراسة " حق"(١)

فلابد أن يكون الولي حذرًا في هذه الكشوفات، أعني أنه لابد للكشوفات أن توافق الكتاب والسنة ولا تتعارض معهما، فـ " لا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله – سبحانه – فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره، بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله – سبحانه – وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك، فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه، وليس لمنكر أن ينكر على أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع. فهذا باب قد فتحه رسول الله – ﷺ – كما ثبت في الصحيحين عنه – ﷺ – أنه قال: ' قد كان في الأمم قبلكم

(١) مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٨٢ .

محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم '، والمحدَّث الصادق الظن المصيب الفراسة "([1]).

لذا فإن العلوم التي كانت للعرب أكثرها باطل؛ لأنها تخرص وتهجم على الغيب، يقول الإمام الشاطبي([2]) في ذلك:" ونهت – أي الشريعة – عنه كالكهانة والزجر، وخط الرمل، وأقرت الفأل لا من جهة تطلب الغيب، فإن الكهانة والزجر كذلك، وأكثر هذه الأمور تخرُّصٌ على علم الغيب من غير دليل، فجاء النبي – ﷺ – بجهةٍ من تعرُّف علم الغيب مما هو حق محض، وهو الوحي والإلهام، وأبقي للناس من ذلك بعد موته – عليه السلام – جزءًا من النبوة، وهو الرؤيا الصالحة، وأنموذج من غيره لبعض الخاصة وهو الإلهام والفراسة " ([3]).

والخاصة هم العلماء بالله – عز وجل – العاملون بما علموا، الممدودون من الله في أقوالهم وأعمالهم، وحركاتهم وسكناتهم، وهؤلاء علومهم ومعارفهم الوهبية ،ليست عن طريق الوحي بالمَلَك أو ما يختص به الأنبياء من أنواع الوحي، بل بما يلقيه الحق في قلوبهم مما يثلجها ويشرحها، فالفرق بين النوعين في الإلهام أو الفراسة ظاهر، فما يكون للأنبياء يسمى وحيًا، وإنكاره كفر، وما يكون للخاصة من الخلق غير الأنبياء يسمى حديثًا وإلهامًا وفراسة

---

(١)ولاية الله والطريق إليها ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ،إبراهيم إبراهيم هلال تحقيق وتقديم ابن الخطيب ، نشر دار الكتب الحديثة .
(٢) أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي أصولي فقيه من أئمة المالكية ، صاحب كتاب الاعتصام توفي في شعبان عام ٧٩٠هـ ، ينظر الأعلام ج١ ص ٧٥ .
(٣) الموافقات ج٢ ص ١٩٩ تح الشيخ عبد الله دراز – المكتبة التجارية الكبرى ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ ه ١٩٧٥ م.

،ودلائله ثابتة وكثيرة، وهو من نوع الكرامات وطريقه غير مكتسب برياضة ونحوها.

يقول شارح الجوهرة:" وأما الولاية ففيها طريقتان، فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة، ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك"(1).

والخلاصة أن الفراسة الإيمانية يمكن بواسطتها أن يطلع الله العبد على ما في الضمائر

فالأولياء يكون لهم نوع كرامة من الله – تعالى – يصيرون بها ربانيين، وهذه الكرامة هي في ذات الوقت معجزة للنبي الصادق فيما جاء به من الدين فلا شك أنرسول الله – ﷺ–أفضل خلق الله أجمعين، وأن الخير في أمته إلى يوم القيامة.

فـ"دينه خير الأديان، وأمته خير الأمم، لا نسخ لشريعته، ولا أمة بعد أمتهجعل فيهم صفوة وأخيارا ونجباء وأبرارا، سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم؛ فنالوا علوم الدراسة، وخلصت عليها معاملاتهم؛ فمنحوا علوم الوراثة، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة، ثبتت أقدامهم، وزكت أفهامهم، وأنارت أعلامهم، فهموا عن الله، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله خرقت الحجب أنوارهم،

(1) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ طبعة قطاع المعاهد ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٨ م.

وجالت حول العرش أسرارهم، وجلت عند ذي العرش أخطارهم، وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون، وفي الأرض سماويون ومع الخلق ربانيون "([1]).

يقول الإمام الشاطبي: " إن جميع ما أعطيته هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفاتوالتأييدات وغيرها من الفضائل ،إنماهي مقتبسة من مشكاة نبينا – ﷺ – لكن على مقدار الاتباع، فلا يظن ظان أنه حصل على خير بدون وساطة نبوية، كيفوهو السراج المنير الذي يستضئ به الجميع، والعلم الأعلى الذي به يهتدى في سلوك الطرق "([2]).

(تعـــقيــب)

إن جميع ما سبق من نصوص يؤكد لنا أن الله – تعالى – أكرمَ المخلصين من عباده بنوع كرامة، هي الفراسة الإيمانية وما في حكمها مما يلقى في القلوب البريئة من العوج والميل، ومن نظر في كتاب الله – عز وجل – وسنة رسول الله – ﷺ – وحياة الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم، وجد من الدلائل المثبتة لها الكثير والكثير، وهو أمر لا ينكره العقل ولا يتصادم مع الفطرة السليمة، وعليه فإن الفراسة الإيمانية – والكشف والإلهام الصادق – لا مجال لإنكارها، فلا ينكرها إلا معاند أو مكابر.

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٩ .
(٢) الموافقات ج ٢ ص ٢٥٩ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصوفية إذا ساروا في طريقهم إلى الله – تعالى – بالمجاهدة والمراقبة، حتى وهبهم الله – تعالى – وامتن عليهم بفضله وفتح لهم بابًا أدركوا من خلاله ما أدركوا، وعلموا من لدنه ما علموا، فإن المقتصدين منهم لم يقدموا هذه الفتوح، وهذا العلم اللدني أوالكشف الرحماني على الكتاب والسنة، بل وزنوا كشفهم وفراستهم الصادقة وما في حكمها بميزان الشريعة، حيث إن الشريعة باب طريقهم الذي لا يمكن الدخول إلا منه، وكلام أئمتهم وشيوخهم في هذه المسألة لا يخفى على باحث عن الحق.

والمشهور من مذهبهم أنهم كانوا يطلبون الاستقامة لا الكشف والخوارق من الكرامات؛ لأنهم يعلمون أن الله – تعالى – طلب منهم الاستقامة لا الكرامة، فما وقع لهم من ذلك إنما هو منحة من الله لهم في أمرلم يسعوا إلا للهرب منه.

ومن ثم فمن الواجب على الباحثين عند مناقشة هذه القضايا الإنصاف والتجرد من الهوائية والتعصب؛ لأن ذلك يتنافى مع روح البحث العلمي، والباحث المنصف هو الذي يكون متجردًا من العنصرية والهوى، فيذكر ما للقوم وما عليهم، فما وافق الشرع فهو مقبول، وما خالفه فهو مردود على أهله، فالحذر الحذر من التعميم فهو لغة الحمقى.

وإذا كانت الفراسة الإيمانية بهذه المنزلة فهل يعمل بها ويؤخذ بأحكامها أو لا؟ إن الإجابة على ذلك تتضح بمشيئة الله – تعالى– في المبحث الثاني:

المبحث الثاني
حجية الفراسة والعمل بها.

تبين مما سبق أن الفراسة الإيمانية لا يمكن بحال أن تكون اطلاعًا على الغيب المطلق الذي استأثر الله – تعالى – بعلمه، وإنما هي علم رباني يلقيه الحق – تعالى – في قلوب صفت وخلصت من الميل والدخائل، فأبصرت بنوره – سبحانه – ما لا يصل إليه غيرهم، وصارصاحبها واحدًا ممن خصهم الله – تعالى – بفضله، وحققه بمنزلة " وعلمناه من لدنا علما " ومِنْحة " ففهمناها سليمان " ودرجة " فبي يسمع وبي يبصر " وهكذا، وعليه فإننا إذا اعتبرنا هذه المعرفة الإلهامية أو الكشفية، تقع وتحصل لمن وصل إليها بنوع من الفراسة النابعة من الإيمان الحقيقي الصادق الذي انتهى بصاحبه إلى الاستقامة، فهل يعمل بها ؟ وهل تكون حجة يؤخذ بأحكامها ؟.

من خلال ما سبق نستطيع القول بأن الفراسة الإيمانية تدخل في دائرة الإلهام هي وما يماثله من الواردات(١)

---

(١) الواردات :جمع – كما يقول القشيري - مفردها الوارد وهو لفظة ترد كثيرًا في كلام الصوفية ، والوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة بشرط ألا يكون فيها تعمد أو اكتساب من العبد ، وقد يكون وارد سرور أو حزن ، وارد قبض أو=

كالكشف[1] والتحديث ونحوهما، وتوضيح ذلك في التالي:

الفراسة الإيمانية والإلهام:

يتأكد دخول الفراسة الإيمانية في دائرة الإلهام بأمور منها: النظر في تعريف الإلهام، ومنها: أقوال الأئمة من أهل العلم، وتوضيح هذين الأمرين يظهر في التالي: فإننا إذا نظرنا في تعريف الإلهام نجدأنه عُرِّف بتعاريف تؤكد الصلة القوية بينه وبين الفراسة الإيمانية وتجعلهما يشتركان في كونهما نازلتين من عند الله – تعالى – تنزل بقلب العبد يبصر بها الكثيروالكثير من الأمور الغائبة، فهما مثلان وما يجري على أحد المثلين يجري على الآخر.

وفي ذلك يقول الشريف الجرجاني: " الإلهام ما يلقى في الرُّوع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم "[2].

ويقول الراغب الأصفهاني:"الإلهام إيقاع الشيء في الرُّوع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله – تعالى – وَجهة الملأ الأعلى قال – تعالى –: "

=بسط ، إلى غير ذلك من المعاني المرتبطة بمنن الله وأفضاله ، طريق الله تعالى ص ٦٧ تح د / إبراهيم بسيوني .و د / محمد غانم ط / دار المعارف ، الطبعة الثانية بدون ، وينظر إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص ١١٠ لابن عجيبة الحسني ط / مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م .

(١) الكشف في اللغة رفع الحجاب ، وفي الاصطلاح هو : الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجوداً وشهوداً ، التعريفات ٨١ ، المطبعة الخيرية بالجمالية ، الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ .

(٢) التعريفات ص ١٥ .

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"([1]) وذلك نحو ما عبر عنه بلمَّة الملك وبالنفث في الرُوع "([2]).

كما عرفه الواحدي بقوله: " الإلهام هو أن يوقع الله في قلب العبد شيئاً، وإذا أوقع في قلبه فقد ألزمه إياه، من قولهم: لهم الشيء وألهمه: إذا بلغه، وألهمته ذلك الشيء، أي أبلغته هذا هو الأصل، ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله – تعالى –في قلب العبد؛ لأنه كالإبلاغ "([3])

فكل ذلك يؤكد لنا أن الفراسة الإيمانية والإلهام يخرجان من مشكاة واحدة، لا سيما وأن الإمام الرازي – كما سبق – قد جعل من الفراسة ضربًا يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب، وأنه ضرب من الإلهام، ويسمى ذلك أيضًا" النفث في الرُّوع"، ففي المعجم الوسيط: المروع صادق الفراسة الملهم ،كأن الأمر يلقى في روعه([4]).

ويقول العلامة ابن خلدون عما يقع لأهل الفراسة: "... ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفًا، وما يقع لهم من التصرف كرامة، وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم "([5]).

---

(١) سورة الشمس آية : ٨ .
(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٥٥ تح : محمد سيد كيلاني ، نشر دار المعرفة – لبنان.
(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ج ٢٠ ص ٣٦٢ ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
(٤) ج١ ص ٣٨٣ ، أحمد حسن الزيات وآحرون تح مجمع اللغة العربية نشر دار الدعوة .
(٥) المقدمة ص ١٩٢ .

وهي – أي الفراسة الإيمانية –وفق ما قال الشريف الجرجاني فيما سبق: مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب، فلا تخرج عن الإلهام والكشف والتحديث.

وإن كان ابن القيم في مآخذه على الهروي تعقبه في جعل مقام الإلهام فوق الفراسة، وفرق بينهما بأن الفراسة تقع بنوع كسب، والإلهام يكون هبة ومنة، فإنه يظهر لي – والله أعلم – أنه يكون في غير الفراسة الإيمانية التي هي من ثمرات الإيمان الكامل.

يقول ابن القيم: " وقد جعل صاحب المنازل الإلهام هو مقام المحدثين، قال: وهو فوق مقام الفراسة؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة واستصعبت على صاحبها وقتًا أو استعصت عليه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.

قلت: التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي قال فيه: " إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر "، يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء.

وأما جعله – أي الإلهام – فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة ربما وقعت نادرة كما تقدم، والنادر لا حكم له، وربما استعصت على صاحبها واستصعبت عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد يعني في مقام القرب والحضور، والتحقيق في هذا أن كل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيرًا وخاصه قد يقع نادرًا ، ولكن الفرق الصحيح أن

الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة لا تنال بكسب البتة"([1]).

والسؤال هنا كيف يكون الإلهام موهبة مجردة لا تنال بكسب والشأن أن النفس الملهمة لا تصل إلى هذه المنزلة إلا بعد مجاهدات ومجاهدات !! فتترقى من الأمَّارة إلى اللوَّامة، ثم إلى المُلْهَمة، فيلهمها الله علومًا ومعارف لا تكون لغيرها كالنفس الأمارة بالسوء مثلاً!، وذلك كإلهامالفاروق عمر – رضي الله عنه – فلابد من العمل بالعلم الاكتسابي حتى ينال العلم الوهبي، فمن لم يحرق البداية بالمجاهدات لم تشرق له النهاية بالإلهام والكشوفات، إلى جانب أنه المناسب لمذهب أهل السنة في أفعال العباد.

ويتضح معنى ذلكمن قوله – تعالى –:" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ([2]). "فأخبر أن النفوس ملهمة، فالنفس الملهمة علوم لدنية: هي التي تبدلت صفتها واطمأنت بعد أن كانت أمارة بالنفث في الروع، فيزداد بها القلب علمًا بالله وبإدراك المغيبات، وهي رحمة خاصة تكون للأولياء فيها نصيب، ولهذا قال صاحب نهاية الغريب: جاء في الحديث تفسيره أنهم الملهمون، والملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء، فيخبر به حَدْسًا وفراسة وهو نوع يخص الله به من يشاء من عباده كأنهم حُدثوا بشيء، فقالوه "([3]).

---

(١) مدارج السالكين ج ١ ص ٤٤ – ٤٥ .
(٢) الآيتان ٧ – ٨ سورة الشمس .
(٣) البحر المحيط في أصول الفقه ج٦ ص ١٠٤- ١٠٥ باختصار وتصرف يسير للزركشي ط دار الصفوة الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م ، وينظر البحر المديد=

وقد اعتبر الإمام الشعراني([1])وهو من كبار الصوفية الإلهام خبرًا إلهيًا؛ " إذ هو إخبار من الله – تعالى – للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم، وأن محل الإلهام من العبد هو النفس، قال – تعالى –: " فألهمها فجورها وتقواها"، أي أن الله – تعالى – ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به، وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه ،فهو إلهام إعلام "([2]).

فكل ذلك وغيره يؤكدلنا أن الفراسة الإيمانية التي ينظر صاحبها بنور الله – تعالى – لا تبعد عن الإلهام الذي لا يكون إلا لمن خصه الله – تعالى – من أصفيائه وألقى النور الإلهي في قلبه وعلَّمه، فيخبر بالشيء حَدْسًا وفراسة، فيكون كما قال، ومن ثم فإن ما يقع على الإلهام يقع على الفراسة الإيمانية لا سيما فيما نحن بصدده من حجية الفراسة الإيمانية والعمل والأخذ بها في الأحكام.

وإذا كان البعض من العلماء قد ميَّز بين كل صورة من صور المعرفة، وبين درجاتها، كالتحديث والفراسة والإلهام والصديقية إلا أنه لا يمنع من أن يضعها جميعًا تحت لفظ الحديث، باعتبار أنها جميعًا واردة بمحض المنة الإلهية، ولا ينقص ذلك من قدر الأعلى، ولا يرفع من قدر الأدنى "([3]).

=لابن عجيبة ج ٨ ص ٣٠٩-٣١٠ ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ .

(١) فقيه محدث صوفي شاذلي شهير توفي بالقاهرة في ٩٧٣ هـ . راجع الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٣١ – ٣٣٢ . .

(٢) اليواقيت والجواهر ص ١٠٥ بتصرف يسير .

(٣) الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ج٢ ص ٢٣٨ – ٢٣٩ د / عبد الفتاح بركة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

وإذا كان ذلك كذلك وثبت أن الفراسة الإيمانية والإلهام محض منة إلهية ترد من الله – تعالى – على قلب تنور وأضاء بنوره – تعالى –نعود للسؤال مرة ثانية ونقول: هل الفراسة الإيمانية حجة يعمل بأحكامها، أو أنها لا ترقي لكونها حجة فلا يعمل ولا يحكم بها ؟.

لو نظرنا في الحقيقة إلى المسألة لرأينااختلافًا ظاهرًا فيها، فطائفة جعلت الفراسة أو الإلهام مصدرًا وأساسًا للمعرفة، وجعلوها حجة وأخذوا بأحكامها كبعض الصوفية، وطائفة أخرى لاسيما من المتكلمين والفقهاء والأصوليين يرفضون حجيتها واعتبارها أساسًا يعتمد عليه في الحكم.

يقول ملا أحمد الجندي في حاشيته على العقائد النسفية بعد ذكر رفض النسفي للأخذ بالإلهام "... خلافًا لبعض المتصوفة والروافض أنه من أسباب العلم مستدلين بقوله – تعالى –:" فألهمها فجورها "(١).

ويقول ابن حجر الهيثمي(٢)مشيرًا إلى المذهبين: " واختلف العلماء في حجية الإلهام، فالأرجح عند الفقهاء أنه ليس بحجة؛ إذ لا ثقة بخواطر غير المعصوم، وعند الصوفية أنه حجة ممن حفظه الله في سائر أعماله الظاهرة والباطنة، والأولياء وإن لم يكن لهم العصمة لجواز وقوع الذنب منهم ولا ينافيه الولاية، لكن لهم الحفظ فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة غالبًا، وعلى القول بحجته

(١) حاشية على شرح العقائد النسفية ج١ ص ٦٧ ، ط / كردستان العلمية ١٣٢٩ هـ.
(٢) فقيه شافعي ومتكلم أشعري وصوفي ولد بالغربية بمصر في رجب عام ٩٠٩ هـ وتوفي عام ٩٧٣ ودفن بمكة المكرمة ، راجع شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج٨ ص ٣٧٠ وما بعدها ط/ دار الكتب العلمية .

فهو ينسب إلى الله – تعالى – بمعنى أنه الملقى له في القلب كرامة لذلك الولي وإنعامًا عليه بما يكون سببًا لمزيد له أو صلاح لغيره(١).

ويقول الطاهر ابن عاشور(٢): " وبعض أهل التصوف وحكماء الإشراق يأخذون به في خاصّتهم ويدَّعون أن أمارات تميز لهم بين صادق الخواطر وكاذبها ومنه قول قطب الدين الشيرازي في ديباجة شرحه على المفتاح:" إني قد ألقي إليَّ على سبيل الإنذار من حضرة الملك الجبار بلسان الإلهام لا كوَهْم من الأوهام "(٣).وهاكم تفاصيل الآراء في المسألة:

الفريق الأول: المثبتون لحجية الفراسة أو الإلهام.

ذهب هذا الفريق إلى حجية الفراسة الصادقة والأخذ بها في الأحكام، بمعنى أن هناك أمورًا تحظر أو تباح بالفراسة أو الإلهام، وأن القاضي إذا لم يحكم بها أضاع الكثير من الحقوق، وقد أكثر ابن القيم من الكلام عن العمل والحكم بالفراسة في كتابه "الطرق الحكمية" حتى قال إجابة عن سؤال: هل يحكم بالفراسة ؟:

"هذه مسألة كبيرة، عظيمة النفع، جليلة القدر، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقًا كثيرًا وأقام باطلاً كثيرًا، وإن توسع فيها وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد.

---

(١) الفتاوى الحديثية ج ١ ص ٢٣٠ .
(٢) عالم وفقيه ومفسر تونسي من طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس ، ولد في ١٩٠٩ م وتوفي عام ١٩٧٠ م ولقب بشيخ الإسلام ، راجع الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣٢٥ .
(٣) التحرير والتنوير ج ٢٥ ص ١٤٣ .

وقد سئل أبو الوفاء ابن عقيل عن هذه المسألة، فقال: ليس ذلك حكمًا بالفراسة، بل هو حكم الأمارات، وإذا تأملتم الشرع وجدتموه يجوز التعويل على ذلك.

وقول أبي الوفاء ابن عقيل ليس هذا فراسة، فيقال: ولا محذور في تسميته فراسة، فهي فراسة صادقة وقد مدح الله – سبحانه – الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه، فقال – تعالى–:"إن في ذلك لآيات للمتوسمين "وهم المتفرسون الآخذون بالسيما وهي العلامة، يقال: تفرست فيك كيت وكيت وتوسمته.وفي جامع الترمذي مرفوعًا " اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله " ثم قرأ " إن في ذلك لآيات للمتوسمين "([1]).

كما يقول: " وقد أثنى الله – سبحانه – على أهل فراسة المتوسمين وأخبر أنهم هم المنتفعون بالآيات، ولله فراسة إمام المتفرسين وشيخ المتوسمين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الذي لم يكن تخطئ له فراسة وكان يحكم بين الأمة بالفراسة المؤيدة بالوحي "([2]).

إلى جانب ذلك يرى المثبتون للعمل بالفراسةأن هناك بشارة للبعض ونذارة للبعض الآخر بالفراسة أو الإلهام، ويعمل بها أو لا يعمل وفق دلالتها؛ لأن رسول الله – ﷺ –قد فعل ذلك، وهذا هو ما حكاه أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات إذ يقول:

---

(١) الطرق الحكمية ص ٥ و١٦ باختصار .
(٢) المصدر السابق ص ٤٠ – ٤٢باختصار

" إنه لما ثبت أن النبي – ﷺ –حذر وبشر وأنذر وندب وتصرف بمقتضى الخوارق من الفراسة الصادقة،والإلهام الصحيح، والكشف الواضح، والرؤيا الصالحة، كانمن فعل مثل ذلك ممن اختص بشيء منمثل هذه الأمور على طريق من الصواب، وعاملاً بما ليس بخارج عن المشروع لكن مع مراعاة شرط ذلك "(١) أ هـ.

" فالشارع لم يلغ القرائن والأمارات ودلالات الأحوال، بل من استقرأ الشرع في مصادره وموارده وجده شاهدًا لها بالاعتبار مرتبًا عليها الأحكام "(٢).

فالمثبتون لحجيتها يرون أن الشرع يقر ذلك ويعضده، لاسيما وأنها تقع من الله – تعالى – لرسوله – ﷺ – وتسمى معجزة، ثم للصادقين المخلصين من أمته ببركته –عليه الصلاة والسلام – وتسمى كرامة ومصدرها في الكل واحد وهو الله – تعالى –فهم ينظرون إليها هنا باعتبار مصدرها لا باعتبار صاحبها، فهي من الله – تعالى–بقدرته، ومن نوره، فإذا ثبت ذلك في الفراسةفلا مانع أن يثبت في حُكْمِها؛ لأنه والحالة هذه يَحكُم بنور الله – تعالى – لا بحكم نفسه كما سبق.

وممن رأى الأخذ بالإلهام الإمام السعد التفتازانيحيث قال معقبًا على كلام النسفي بعدم الأخذ به: " ثم الظاهر أنه أراد أن الإلهام ليس سببًا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للإلزام على الغير ،وإلا فلا شك أنه قد يحصل به

---

(١) ج ٢ ص ٢٦٤ .
(٢) الطرق الحكمية ص ١٦ .

العلم وقد ورد القول به في الخبر نحو قوله –عليه الصلاة والسلام–: "ألهمني ربي"(١). وحكي عن كثير من السلف "(٢).

" وقال ابن السمعاني نقلاً عن أبي زيد الدبوسي وحدَّه أبو زيد: بأنه ما حرك القلب بعلم يدعوك إلى العمل به من غير استدلال ولا نظر في حجة، وقال بعض الحنفية: هو حجة بمنزلة الوحي المسموع من رسول الله – صلى الله عليه وسلم "(٣).

ولهم أدلة وقياسات في اعتماد ذلك واعتباره في العمل به، ويظهر ذلك في التالي:

أدلة من يقول بحجية الفراسة الصادقة:

استدل هذا الفريق على العمل بالفراسة الصادقة أو الكشف الصحيح بأدلة من آيات القرآن الكريم، وسنة رسول الله – ﷺ – قولاً وفعلاً، إضافة إلى عمل الصحابة – رضي الله عنهم – لا سيما عمل الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – " قال الحلواني وغيره: عرفنا الحظر والإباحة بالإلهام ، كما ألهم أبو بكر وعمر – رضي الله تعالى عنهما – أشياء ورد الشرع بموافقتهما، وهو ما يحرك القلب بعلم يطمئن القلب به، أي بذلك العلم حتى يدعو إلى العمل به، أي بالعلم الذي اطمأن به وهو أي الإلهام في قول: طريق

---

(١) كنز العمال ج٢ ص ٦٧٩ رقم ٥٠٥٥ ط / مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث طويل عن علي رضى الله عنه ج٢ ص ١٨١ .
(٢) شرح العقائد النسفية ج ١ ص ٦٧ ط / كردستان العلمية ١٣٢٩ .
(٣) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير ج١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦

شرعي"(١)، وقد تنوعت أدلة هذا الفريق إلى أدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ويتضح ذلك في التالي

أولاً: أدلة المثبتين من القرآن الكريم:

من جملة ما استدل به المثبتون للعمل بالفراسة الإيمانية من آيات القرآن الكريم قول الحق – تعالى –: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ "، فهذه الآية على ما قال الجلال السيوطي أصل في الفراسة؛ إذ قرأ هذه الآية بعد ذكره لحديث أبي سعيد، وقال: وكان بعض المالكية يحكم بالفراسة في الأحكام جريًا على طريق إياس ابن معاوية "(٢).

كما احتج المثبتون بقوله – تعالى –:"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا " أي: عرفها بالإيقاع في القلب ، وبقوله – تعالى –:"فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ"(٣)وبقوله – تعالى–:" إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً"(٤) أي: تفرقون به بين الحق والباطل، وبقوله – تعالى –: "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا "(٥) أي: مخرجًا على كل ما التبس على الناس وجه الحكم فيه.وبقوله –تعالى–: " وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ "(٦).

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار ج١ ص ٣٣٠ تح محمد الزحيلي ، نشر مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
(٢)ينظر تفسير روح المعاني ج ١٤ ص٧٤ .
(٣) سورة الأنعام الآية : ١٢٥ .
(٤)سورة الأنفال الآية : ٢٩ .
(٥) سورة الطلاق الآية : ٢ .
(٦)سورة البقرة الآية : ٢٨٢ ، راجع البحر المحيط ج٦ ص ١٠٣ – ١٠٤ .

فالعلم الواقع في القلب المشار إليه في هذه الآيات علم رباني من الله – عز وجل – ومن ثم فإنه حق وصدق فيعمل به، حيث إن " هذه العلوم اللدنية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله – تعالى – بترك المنهيات وامتثال المأمورات، إذ خبره صدق، ووعده حق، فتزكية النفس بعد القلب لحصول المعارضة فيه بطريق الإلهام بحكم وعد الله – تعالى – وذلك كإعداده بإحضار المقدمتين فيه مع التفطن لوجوه لزوم النتيجة عقب النظر لقدرة الله اضطرارًا، ولا مدخل للقدرة الحادثة فيه "(١).

والمعنى أن هذا العلم اللدني الذي يلقى في القلب يكون من الله – تعالى – وفق عقيدة أهل السنة، وبقدرة الله –تعالى – لا بقدرة العبد الحادثة، ومن ثم فإنه عند هؤلاء يعمل به ويكون حجة؛ لأنه من عند الله وبوعده الصادق، على ما سبق من آيات تؤكد هذا المعنى، وما عند الله لا يكون إلا حقًا، لذلك قال الشيخ الرئيس ابن سينا: "إذا بلغك أن عارفًا حدث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير، فصدِّق ولا يتعسرن عليك الإيمان به "(٢) اعتمادًا على أن الله – تعالى – هو من أفاض هذا العلم للعارف به – سبحانه – ومن ثم فإنه حق وليس عسيرًا على الإنسان أن يصدق به ما دام لا يجهل مصدره.

يقول أبو طالب المكي:" فخاطر اليقين إذا وقع في قلب مؤمن، اضطرته مشاهدته إلى القيام به، وإن خفي على غيره حكم عليه بيانه وبرهانه

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ١٠٤ .
(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٢٢٥ .

بصحة دليله، وإن التبس على من سواه، وقد قال – تعالى – في تخصيص الموقنين: " قد بينا الآيات لقوم يوقنون(١) "(٢).وإذا كانت هذه هي أدلة المثبتين للعمل بالفراسة الإيمانية أو الإلهام من القرآن الكريم،فماذا عن حال أدلتهم من السنة النبوية ؟.

ثانيًا: أدلة المثبتين من السنة:

كما أخذ المثبتونمن بعض ظواهر الآيات القرآنية دليلاً على العمل بالفراسة الإيمانية والأخذ بأحكامها نظرًا لمصدرها الإلهي، فكذلك الأمر كان بالنسبة للسنة النبوية حيث رأى المثبتون أن النبي – ﷺ – قد عمل بمقتضى ذلك أمرًا ونهيًا وتحذيرًا وتبشيرًا وإرشادًا، مع أنه لم يذكر أن ذلك خاص به دون أمته ،فدل على أن الأمةحكمهم في ذلك حكمه، شأن كل عمل صدر منه ولم يثبت دليل على الاختصاص به دون غيره، ويكفي من ذلك ما ترك بعده في أمته من المبشرات وإنما فائدتها البشارة والنذارة التي يترتب عليها الإقدام والإحجام.

وقد قال – عليه الصلاة والسلام – لعبد الله بن عمر في رؤياه المَلَكين وقولهما له: " نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة "(٣)، وقال لأنس: " اللهم كثِّر

---

(١) سورة البقرة الآية : ١١٨ .
(٢) قوت القلوب ج١ ص ٢٤٦ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل ، ج٢ ص ٦١ كتاب التهجد بالليل باب فضل قيام الليل ، وأخرجه مسلم في صحيحه ج٢=

ماله وولده"(١)، ودل النبى –عليه الصلاة والسلام– أناسًا شتى على ما هو أفضل الأعمال في حق كل واحد منهم، عملاً بالفراسة الصادقة فيهم، وقال:" لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه"(٢) فأعطاها عليًا ففتح الله على يديه، وقال لعثمان بن عفان: " لعل الله أن يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه"(٣)، فرتب على الاطلاع الغيبي وصاياه النافعة، إلى سائر ما أخبر به – عليه الصلاة والسلام – من المغيبات التي حصلت بها فوائد الإيمان والتصديق والتحذير والتبشير وغير ذلك وهو أكثر من أن يحصى(٤).

يقول الشيخ عبد الله دراز معلقًا على كلام الشاطبي في عدم خصوصيته – ﷺ – بذلك وحده:" وهذا وما بعده للآخر يدخل تحت الاطلاع الغيبي، وهي عبارة مجملة تشمل ما كان من قبيل الوحي الملكي والإلهام، وأتى بها كذلك لتصح فيها المشاركة للأمة على ضرب من التسامح "(٥).

كما استدل المثبتون من السنة بحديث وابصة بن معبد الأسدي – رضي الله عنه – قال: أتيت رسول الله – ﷺ – وأنا أريد أن لا أدع من البر

=ص ٣٩١ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب فضائل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج٨ ص ١٠١ كتاب الدعوات باب الدعاء بكثرة المال مع البركة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ج ٣ ص ١٣٥٧ حديث رقم ٣٤٩٨ ، نشر دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م . .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ج٢ ص ٥٦٠ ط / المكتب الإسلامي .

(٤) الموافقات ج ٢ ص ٢٦٤ – ٢٦٥ باختصار .

(٥) السابق نفسه بالهامش ص ٢٦٥ .

والإثم شيئًا إلا سألته عنه، فقال رسول الله – ﷺ-: " جئت تسأل عن البر والإثم؟". قال: قلت: نعم. قال: فجمع أصابعه، فضرب بها صدره، وقال: "استفت قلبك، استفت قلبك يا وابصة (ثلاثا): البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك"([1]).

فقد جعل النبي – ﷺ –شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى، ولا يصلح أن يرد رسول الله – ﷺ – سائلاً إلى فقيه، فلولا أن علم القلب هو حقيقة الفقه، ما رد صاحبه من فتيا أهل الظاهر إليه، ولا حكم على المفتين به، فقد صار علم القلب هو علم العلم؛ إذ جعله الرسول – ﷺ – قاضيًا على المفتين بالحكم، وصار عالم الباطن هو عالم العلماء، إذ لم يسعه تقليد العلماء "([2]).

كما استدلوا بقوله – صلى الله عليهوسلم –فيما رواه عن ربه – عز وجل – في الحديث القدسي: " فبي يسمع وبي يبصر " وقوله –عليه الصلاة والسلام–:" قد كان في الأمم محدثون" فثبت بهذا أن الإلهام حق، وأنه وحي باطن، وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه([3]). ولكن هل يعمل بالفراسة أو الكشف والإلهام عند هذا الفريق مطلقًا دون قيد، أم أن العمل به مقيد ومشروط ؟.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٤ص ٢٢٨ .
(٢) قوت القلوب ج١ ٢٣٥، وينظر الكوكب المنير ج ١ ص ١٣٦.
(٣) راجع فتح الباري ج ١٢ص ٣٨٨ .

ضابط العمل بالفراسة عند المثبتين:

إن العمل بالفراسة عند هذا الفريق مقيد ومشروط وليس مطلقًا، فقد اشترط هذا الفريق للعمل بالفراسة أو الإلهام شرطًا لابد منه، وإلا كانت هي والعدم سواء ،فعندهم " أن هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية؛ فإن ما يخرم حكمًا شرعيًا أو قاعدة دينية ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع "(١).

ويقول الألوسي: "... وكذا هو ليس بحجة في شريعتنا على الصحيح، ومن شذ وقال بحجيته اشترط لذلك أن لا يعارضه نص شرعي، فلو أطلع الله – تعالى –بالإلهام بعض عباده على نحو ما أطلع عليه الخضر – عليه السلام – من حال الغلام، لم يحل له قتله، وهو ليس بحجة عند الأئمة ومن شذ اشترط ما اشترط "(٢).

وهذا أصل ثابت عند من يعول على العمل بالفراسة والإلهام من الصوفية وغيرهم، حيث إنهم يجعلون الكتاب والسنة ميزانًا توزن عليه الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة، يقول الإمام الشاذلي – رضي الله عنه –: " إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة، فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف ،وقل لنفسك: إن الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في

(١)الموافقات في أصول الشريعة ج ٢ ص ٢٦٦ .
(٢)تفسير روح المعاني ج ١١ ص ٣٧٢ .

جانب الكشف والإلهام. ومثل هذا أيضًا قول الجنيد: إن النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل، الكتاب والسنة، ولا يلزم من عدم العلم بها انتقادها على أهلها، فإن العلم واسع له ظاهر وباطن، ومسائل الإلهامات تارة ترد على حسب العلم الظاهر، وتارة ترد على حسب العلم الباطن، فإن لم تفهمها فسلم ودع ما تعرف لما لا تعرف"(١).

كما نقل عن الإمام الغزالي في حديث وابصة السابقأن " استفتاء القلب إنما هو حيث أباح المفتي، أما حيث حرم فيجب الامتناع، ثم لا نقول على كل قلب، فرب قلب موسوس ينفي كل شيء، ورب قلب متساهل يطير إلى كل شيء، فلا اعتبار بهذين القلبين، وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق لدقائق الأحوال، فهو المحك الذي يمتحن به حقائق الأمور، وما أعز هذا القلب"(٢).

وإذا كان هذا هو رأي الفريق الأول، فماذا عن الفريق الثاني ؟ وهل قبل النافون للعمل بالفراسة هذا القيد ورضوا بالأدلة التي أوردها المثبتونلحجية الفراسة أو الكشف والعمل بها ؟ هذا ما سيظهر بمشيئة الله – تعالى – في التالي:

الفريق الثاني: النافون للعملبالفراسة أو الإلهام.

ذهب فريق لاسيما من المتكلمين والأصوليين إلى رفض العمل والأخذ بالإلهام وما في حكمه من الفراسة والكشف؛ لأن الأحكام عندهم لا تؤخذ إلا

(١) إيقاظ الهمم ص ٣٧٢ .
(٢) ينظر الفرقان لابن تيمية ص ٢٥ وما بعدها ، و إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ج ٢ ص ١٩٩ ، والبحر المحيط ج ٤ ص ٤٠٠ .

من الشرع المعصوم، فلا يعتمد في المعارف إلا على الشرع، وفي ذلك يقول النسفي: " والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق "(١).

ويقول الطاهر ابن عاشور مصوِّرًا ومعقِّبًا على ذلك:" وقد انتصب علماء الكلام وأصول الفقه لإبطال أن يكون ما يسمى بالإلهام حجّة، وعرفوه بأنه إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، وأبطلوا كونه حجّة لعدم الثقة بخواطر من ليس معصوماً، ولتفاوت مراتب الكشف عندهم، وقد تعرض لها النسفي في عقائده، وكل ما قاله النسفي في ذلك حق، ولا يقام التشريع على أصول موهومة لا تنضبط"(٢).

ويقول الحافظ السيوطي عن الأولياء: إنهم " ليس لهم العمل بالحقيقة ولا الحكم بمقتضاها بإجماع المسلمين، وإنما يعملون بالشريعة فقط، ولو رفع إلينا ولي قتل غلامًا أبواه مؤمنان، واحتج على ذلك بأنه كشف له أنه طبع كافرًا، لقتلناه بحكم الشرع بالإجمال؛ لأنه – ﷺ – لم يأذن لأحد أن يحكم بالحقيقة في قتل ولا غيره، ولو أراد أحد من أرباب الكشف أن يقتدي بإمام وبينه حائل في غير المسجد يمنع صحة الاقتداء به، لحكمنا ببطلان صلاته، ولم نعرج على ما يقع له من الكشف الذي ترفع فيه الجدران وتزال الحجب؛ لأن الأولياء وغيرهم مكلفون بالعمل بالشرع، وقد نص أهل الحقيقة على أنه لا يعمل بالحقيقة وإنما هي علم لا عمل"(٣).

---

(١) شرح العقائد النسفية ج١ ص ٦٨ .
(٢) التحرير والتنوير ج١٦ ص ١٦ .
(٣) الباهر في حكم النبي -ﷺ- بالباطن والظاهر ص ٧٣ – ٧٤ باختصار ، نشر دار المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .

كما ذكر العلامة الألوسي أن " ممن صرح بأن الإلهام ليس بحجة من الصوفية الإمام الشعراني وقال:" قد زل في هذا الباب خلق كثير فضلوا وأضلوا، ولنا في ذلك مؤلف سميته " حد الحسام في عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام" وهو مجلد لطيف "(1).

كذلك ممن يرى أنه لا مجال للفراسة أو الكشف في ثبوت الأحكام القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في "قانون التأويل"، ونقل عنه العلامة القرطبي في تفسيره هذا القول: " إذا ثبت أن التوسم والتفرس من مدارك المعاني، فإن ذلك لا يترتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم ولا متفرس، وقد كان قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد أيام كوني بالشام يحكم بالفراسة في الأحكام جريًا على طريق إياس بن معاوية أيام كان قاضيًا، وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر الشاشي صنف جزءًا في الرد عليه كتبه لي بخطه وأعطانيه، وذلك صحيح فإن مدارك الأحكام معلومة شرعًا مدركة قطعا وليست الفراسة منها(2).

لأجل ذلك نقل أبو زيد الدبوسيقول جمهور العلماء بأنه " خيال لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب ما أبيح عمله بغير علم."(3).

---

(1) تفسير روح المعاني ج ١٢ ص ٣٧٢ .
(2) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٣ ـ ٤٤ ،وينظر قانون التأويل ص ٣٤٥ وما بعدها تح محمد السليماني ط / دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م وتربية ملكة الاجتهاد ج١ ص ٤٥١
(3) التحبير شرح التحرير ج٢ ص ٧٨٤ .

يفهم مما سبق أن هذا الفريق لا يرون العمل بالفراسة في أي حكم من الأحكام؛ لأن الأحكام لا تؤخذ إلا من الشرع ،وأن الفراسة ليست بحال من مدارك الأحكام، وأنها والإلهام خيال لا يعمل بهما إلا في نطاق يكاد لا يوجد، حتى إن الشيخ الشعراني وهو عَلَم صوفي – رغم التشنيع على الصوفية واتهامهم في هذا الشأن – يرى أنهذا الباب قد زل فيه خلق كثير فضلوا وأضلوا؛ لأنه لا يوثق بخاطر أو وارد قلبي كالفراسة وما في حكمها من بشر ليس معصومًا، وإذا كان ذلك كذلك فهل هؤلاء ينكرون الفراسة والإلهام ؟ وماذا عن موقفهم من أدلة المثبتين للعمل بالفراسة ؟

موقف النافين من أدلة المثبتين:

لم يسلم النافون للعمل بالفراسة أو الإلهام للمثبتين رأيهم، حيث إنهم يرون أنه لا يحل في الإسلام ولا في شريعته أن يحكم بالفراسة أو الإلهام بمجرد أن يلهم الإنسان أو يتفرس أنه صادق في كذا؛ لأنه لوكان " الإلهام طريقًا كان الرسول أحق من قضى به، وكان الله يوحى إليه من هو صاحب الحق فلا يحتاج إلى بينة. فإن قلت: معناه أنه يلهم الحكم الشرعي، فهذا أيضًا لا بد فيه من دليل شرعي، وقد ثبت أن النبي –ﷺ– قال: " قد كان قبلكم في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر " ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يحكم بالإلهام ولا يعمل بمجرد ما يلقي في قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله وإن خالفه رده "(١).

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ج١ ص ٥١٠ .

والنتيجةأن النافين للعمل بالفراسة وما يلقى في القلب يرون أنه لابد من الدليل الشرعي؛ لأنه يقيني وشاف كاف للحاكم وللمحكوم عليه، ولا يفهم من هذا أنهم لا يعترفون بالفراسة أو الإلهام، وإنما هم يؤمنون بأنها كرامة من الله وزيادة نور للمخلصين من عباده، لكنها لا ترقى لأن تكون حجة يعمل بها بمجرد أن تلقى في القلب، وقد ذكر ذلك أبو المظفر السمعاني في القواطع كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر في الفتح، فقال:

" وأما كرامة الفراسة فلا ننكرها أصلاً، ولكنا لا نجعل شهادة القلب حجة؛ لجهلنا أنها عن الله تعالى، أو من إبليس، أو من نفسه " – كما قال –: " واعلم أن إنكار أصل الإلهام لا يجوز، ثم قال: ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره، ويقوي به رأيه، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله، ولا نزعم أنه حجة شرعية، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده، فان وافق الشرع كان الشرع هو الحجة. انتهى "([1]).

لأجل ذلك كانت ردود النافين للعمل بالفراسة أو الكشف على ما استدل به المثبتون من آيات قرآنية وأقوال أو أعمال للصحابة – رضى الله عنهم – مقررة عندهم كما نقلها غير واحد من العلماء، يقول الحافظ ابن حجر في الفتح:

(١) قواطع الأدلة في الأصول ج ٢ ص ٤٤٨ وما بعدها باختصار ، تح محمد حسن الشافعي ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧وينظر فتح الباري ج ١٢ ص ٣٨٨،ط / دار المعرفة بيروت – لبنان ، ١٣٩٧ هـ .

قال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع بعد أن حكى عن أبي زيد الدبوسي من أئمة الحنفية أن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال والذي عليه الجمهور أنه لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح وعن بعض المبتدعة أنه حجة– ثم ساق حججهم التي يثبتون بها أن الإلهام حق وقال: –

وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر في الآيات والاعتبار والنظر في الأدلة وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة، وبأن الخاطر قد يكون من الله، وقد يكون من الشيطان، وقد يكون من النفس، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقًا لم يوصف بأنه حق.

فأما الجواب عن تمسكهم بقوله –تعالى–: "فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" تأويله – والله أعلم –: عرفها بطريق العلم، وهو الآيات والحجج، طريق الفجور والتقوى، وكذلك شرح الصدور بنور التوفيق، وهو النظر والحجج، وكذلك الأخبار المذكورة في القرآن للقلب هو بنور الأدلة وبما أراه من الآيات، والاهتداء للعبرة إنما يكون بهداية الله – تعالى – وذلك بطريق الهداية بعد جهاد العبد.

قال الله –تعالى–: "وَالذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"(١) كما قال تعالى: "يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ"(٢)، فالله – تعالى – يجتبى إليه من يشاء بروح القدس، وكمال نور العقل وزكاة الطريق والتوفيق بأداة الحجج كرامة ابتداء حتى

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .
(٢) سورة الشورى الآية : ١٣ .

يصير موكلا على النظر في الآيات فتبين له أنه الحق كما يتبين للكافر يوم القيامة، وأما قول الصحابة –رضوان الله عليهم– فلم يثبت توحيد قول منهم بعد إلا على نظر واستدلال(1).

فالنافون للعمل بالفراسة الإيمانية أو الإلهام وإن كانوا يرونها كرامة من الله – تعالى –ويثبتون أصلها، إلا أنهم يرون أنه لا يعول عليها في الأحكام، فالشرع لا يعرف إلا الحجج الظاهرة المأخوذة من النظر والاعتبار بالآيات الكونية وغيرها، أما الخواطر القلبية فإنها ليست يقينية؛ لأنه لا قاطع عندهم أنها من الله – تعالى – أو من الشيطان، أو من عند أنفسهم، فهي ظن واحتمال، وبهذا المعنى كان ردهم على الأدلة التي أقامها المثبتون للعمل بها واعتبروها حجة. وهنا السؤال هل أقاموا أدلة على مذهبهم في عدم العمل بالفراسة أو الإلهام ؟ إن الإجابة علي ذلك تظهر في التالي:

أدلة النافين للعمل بالفراسة أو الإلهام:

استدل النافون للعمل بالفراسة أو الكشف القلبي بأدلة كثيرة تعول على الاعتماد على الحجج والبراهين القائمة على الظاهر لا الباطن نسبها أبو المظفر السمعاني نقلاً عن أبي زيد الدبوسي إلى أهل السنة،قائلاً:

"وأما حجة أهل السنة والجماعة قوله – تعالى –: " وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ"(2)، فقد وبخهم بدعوى إله غير الله لا برهان لهم به، ولو كانت شهادة قلوبهم حجة لهم لما لحقهم التوبيخ، فثبت أن الحجة التي

---

(1) فتح الباري ج 12 ص 388 باختصار ، وينظر قواطع الأدلة ج2 ص 450 .
(2)سورة المؤمنون الآية 117 .

يصح العمل لها ما يمكن إظهاره من النصوص والآيات التي عرفت حججًا، ويدل قوله –تعالى–: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"(1)، وهذا يدل على أن العلم بالله – تعالى – لا يكون إلا بالآيات، والآيات لا تدلنا إلا بعد الاستدلال بها عن نظر عقلي، ويدل عليه قوله – تعالى –: "أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"(2) وقال – تعالى –: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ"(3)، والله – تعالى – أمر بالنظر والاستدلال ولم يأمر بالرجوع إلى القلب " إلى غير ذلك من الآيات الآمرة بالاستدلال ولم يقع الأمر في الأحكام والعقائد بالرجوع إلى القلب(4).

ولذلك قال – ﷺ – لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "بم تقضي؟" قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟" قال: بسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد ؟" قال: أجتهد برأيي(5). فهنا كما يرون لم يذكر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فراسة ولا إلهامًا ولا كشفًا، وإنما اعتمد في القضاء والحكم على الكتاب والسنة، ثم الاجتهاد كمصدر من مصادر التشريع المعتمدة.

وبذا يكون النافون قد أقاموا مذهبهم في رد كون الفراسة أو الإلهام؛ – لأنها في حكمه – حجة يعمل بها في الأحكام، بعد إقامتهم الدليل على ذلك

(1) سورة فصلت الآية : ٥٣ .
(٢٢) سورة الغاشية الآية : ١٧ .
(٣) سورة الذاريات الآية : ٢١ .
(٤) قواطع الأدلة ج٢ ص ٢٥٢ ، وينظر: فتح الباري ج١٢ ص ٣٨٨ ، وحاشية العطار على شرح الجلال ج ٢ ص ٣٦٣.المطبعة العلمية الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ .
(٥) أخرجه أبو داود في سننه ج٢ ص ٢٧٩ كتاب الأقضية باب اجتهاد الرأي في القضاء ط / مصطفى الحلبي طبعة ثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٢٤٢ .

وردهم الأدلة التي أقامها المثبتون، وإن كانوا لا ينكرون أصل الفراسة أو الإلهام.

(تعــــقيــــب):

بعد عرض مسألة العمل بالفراسة بين المثبتين والنافين، أرى أن المثبتين للعمل بالفراسة الإيمانية دللوا على ذلك بالأدلة من القرآن الكريم واعتبار آية (الحجر) أصلاً في الفراسة والتوسم، مع الاستدلال بالأحاديث وأفعال الصحابة – رضى الله عنهم – مع اعتبار أن الله – تعالى- هو الملقى لها في القلب، ومن ثم فهي حق وصدق فيعمل بها ويعول على حكمها، وهذا أمر لا يرده الشرع حيث إن رسول الله – ﷺ – فعل ذلك فبشر وأنذر ونبَّه بالفراسة والإلهام، لكن المثبتين للعمل بالفراسة اشترطوا لذلك ألا تتعارض الفراسة مع النصوص الشرعية، وهذا أصل ثابت عندهم ،فالكتاب والسنة هما المقياس في الأخذ والرد للشيء.

أما النافون فإنهم يرون أنه لا يعول على الفراسة أو الإلهام والكشف في الأحكام؛ لأنها أمور باطنة تقع لمن لا عصمة له، ولا ثقة بخاطر لمن هذه صفته، وأن ما وقع للخضر – عليه السلام –من قتل للغلام وخرق للسفينة، لا يمكن أن يكون لأحد أبدًا، وأنه أمر انتهى بنهاية الخضر، فمن قتل غلامًا لأجل أنه ألهم أنه سيكون كافرًا فإنه يقتل به قصاصًا.

وأن الأولياء وغيرهم من المتفرسين مكلفون بالعمل بالشريعة، وليس بالعمل بالفراسة وما في حكمها؛ فمدارك الأحكام معلومة شرعًا وليست الفراسة

منها، وإلا فرسول الله– ﷺ – هو أولى الناس أن يقضي ويحكم بالفراسة أو الإلهام.

وأما الصحابة – رضى الله عنهم – إنما يحكمون وَفْقَ الشرع وأصوله لا بما يلهمون، ومن ثم فإن النافين بينوا أنهم لم ينكروا أصل الفراسة ككرامة من الله – تعالى – لمن نوَّر قلوبهم، وإنما أنكروا حجيتها والعمل بها في الأحكام؛ لأن الشرع لا يعرف إلا الحجج الظاهرة، كالنظر والاعتبار والتأمل في الكون وآثاره، إضافة إلى أن الخواطر القلبية ظنية وليست يقينية، فلا قاطع بأنها رحمانية أو شيطانية أو نفسية؛ لذا فإن الشرع لم يأمر بالرجوع إلي الخواطر القلبية، وإنما أمر بالرجوع في الأحكام إلى الأدلة اليقينية من كتاب الله – عز وجل – وسنة رسول الله – ﷺ –كما كان من أمر الصحابي الجليل معاذ بن جبل – رضى الله عنه – عندما أخبر رسول الله – ﷺ – أنه يقضي بهما لا بالفراسة والكشف.

وفي الحق أن كل مذهب من هذين المذهبين قدَّم أدلة تؤيده إلا أنني– على الرغم من قوة أدلة المثبتين – أرجح عدم العمل بالفراسة والإلهام إلا بضوابط وقيود منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: عدم وجود النص على الحكم في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال وأفعال الصحابة والتابعين، وهو أمر بعيد ومستبعد.

ثانيًا: ألّا يُلزم به الغير؛ لأن الغير لايسلم إلا بالأمور الظاهرة، وقدسلم موسى للخضر؛ لأن الخضر نبي على قول البعض.

ثالثًا: ألا يتعارض الحكم بالفراسة مع النصوص الشرعية الثابتة، وإلا كان والعدم سواء.

ومن ثم نستطيع القول بأن الحكم بالفراسة يقع ولا يقع، فيقع بالضوابط والقيود السابقة على مستوى فردي وشخصي ليس ملزِمًا للغير، ولا يقع إذا تخلف قيد من القيود السابقة لا على المستوى الشخصي ولا المستوى العام، والنقطة التي تجمع المثبتين والنافين هي ضرورة الموافقة للكتاب والسنة وعدم مخالفتهما قيد شعرة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره أشرقت قلوب الصالحين وأُكْرِمت بالفتح والفتوحات، وصلى الله –تبارك وتعالى– على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه بعدد ما مضى وما هو آت.

وبعـــد..

فها هي نهاية المطاف حول بحث الفراسة الإيمانية بين علم الغيب والعمل بها

"عرض ودراسة"، وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها:

أولاً: أن الفراسة الإيمانية هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب، من الله تعالى.

ثانيًا: أن الفراسة ترتبط بالإيمان، فكلّما كان المرء أقوى إيمانًا كان أحدَّ فراسة.

ثالثًا: أن الفراسة الرياضية لا تدل على إيمان ولا ولاية، وهي مشتركة بين المؤمن وغيره

رابعًا: أن الفراسة الخَلْقية استدلال بالخَلق الظاهر على الخُلُق الباطن.

خامسًا: أن نسبة علم الغيب المطلق لمخلوق يعد شركًا بالله تعالى.

سادسًا: أن الفراسة الإيمانية من باب الكرامات التي هي فعل الله – عز وجل – وحده وليست فعلاً للولي.

سابعًا: ليس جميع الصوفية يدَّعون علم الغيب ومعرفة ما سيكون.

ثامنًا: اتفاق ابن تيمية وابن القيم مع المعتدلين من مشايخ الصوفية والأئمة في أن الصالحين لهم فراسات صادقة وهو أمر قد ورد به النقل ولا يحيله العقل.

تاسعًا: أن كشف أولياء الرحمن وتفرسهم إنما هو نتاج استقامة الظاهر والباطن على العكس من كشف أولياء الشيطان.

عاشرًا: أن الفراسة الإيمانيةلا تخرج عن الإلهام والإلقاء في الرُوع.

حادي عشر: أن الفراسة حق وصدق؛ لأنها كائنة بقدرة الله – تعالى – وخلقه لا بقدرة العبد، عند المثبتين للعمل بها.

ثاني عشر: لا يعمل بالفراسة والكشف فيما يتعارض مع النصوص الشرعية، وهذه يمكن اعتبارها نقطة التقاء بين المثبتين والنافين.

وبعد فهذا جهد المقل، فإن وفقت فمن الله – تعالى – وإن كانت الأخرى فحسبي جزاء المجتهد.

وما أبرئ نفسي إنني بشر   أسهو وأخطئ ما لم يحمني القدر

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ط / دار المعرفة بيروت – لبنان و ط / دار الريانللتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

٣- أصول التصوف الإسلامي د/ يحيى هاشم فرغل ط/ الجبلاوي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ١٩٨٣ م.

٤- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٥- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسني ط/مصطفى الحلبي الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.

٦- الباهر في حكم النبي – ﷺ – بالباطن والظاهر للحافظ السيوطي نشردار المدنية المنورة الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

٧- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للكلاباذي تحقيق محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد اليزيدي، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ.

٨- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ط/دار الصفوة الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الحسني ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

١٠- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي

١١- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق محمود محمد الطناحي ،مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.

١٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفورينشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٣- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذيط/ دار الكتب العلمية.

١٤- التعريفات للشريف الجرجاني ط/مصطفى الحلبي ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م و ط / الخيرية بالجمالية الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ.

١٥- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط/ التونسية.

١٦- تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

١٧- التفسير الكبير للفخر الرازي المطبعة المصرية الطبعة الأولى ١٩٣٤ م

١٨- التفكير الفلسفي في الإسلام د/ سليمان دنيا، مكتبة الخانجي ١٩٦٧ م

١٩- التفكير الفلسفي في الإسلام د/عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية

٢٠- التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٢١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٠ م.

٢٢- حاشية الدوانيعلى العقائد العضدية ط/ الخيرية الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ.

٢٣- حاشية السباعي على شرح الخريدة ط/ العامرة المليجية الطبعة الأولى ١٣٣١ هـ.

٢٤- حاشية العطار على شرح الجلال ط/ العلمية الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ

٢٥- حاشية على شرح العقائد النسفية ط/ كردستان العلمية ١٣٢٩ هـ.

٢٦- الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية د/عبد الفتاح بركة مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

٢٧- دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي ط / دار الفكر.

٢٨- الرسالة القشيرية للإمام القشيري ط / محمد علي صبيح.

٢٩- الرسالة اللدنية للإمام أبي حامد الغزالي ضمن مجموعة القصور الغوالي من رسائل الغزالي، نشر مكتبة الجندي بالحسين.

٣٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣١- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لحبيب الله الشنقيطي ط/ مؤسسة الحلبي

٣٢- سنن أبي داود ط/مصطفى الحلبي الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

٣٣- سنن الترمذي تحقيق كمال يوسف الحوت ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م.

٣٤- شرح البيجوري على الجوهرة ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٥- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي تحقيق عبد المجيد طعمه، نشر دار المعرفة لبنان ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

٣٦- شرح العقائد النسفيةللتفتازاني ط/ كردستان العلمية ١٣٢٩ هـ و ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

٣٧- شرح المقاصد للتفتازانيتحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط/ عالم الكتب الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

٣٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

٣٩- شفاء السائل وتهذيب المسائل لابن خلدون تحقيق محمد مطيع الحافظ ط/ دار الفكر.

٤٠- الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفار عطيتو ط/ دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

٤١- صحيح البخاري للإمام البخاري ط / دار الشعب.

٤٢- صحيح مسلم للإمام مسلم ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٣ م.

٤٤- طريق الله تعالى للإمام القشيري تحقيق د/ إبراهيم بسيوني د/ محمد غانم ط/ دار المعارف الطبعة الثانية بدون.

٤٥- الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية.

٤٦- الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ط/ عيسى الحلبي الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ.

٤٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجرالعسقلاني ط/ دار المعرفة بيروت – لبنان ١٣٩٧ هـ.

٤٨- الفراسة للإمام الرازي تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن.

٤٩- فلسفة ابن الطفيل ورسالته حي بن يقظان د/ عبد الحليم محمود، نشر مكتبة الأنجلو المصرية.

٥٠- فيض القدير للشوكاني ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

٥١- قانون التأويل لابن العربي المالكي تحقيق محمد السليماني ط/ دار القبلة للثقافة الإسلامية بجده ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.

٥٢- قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني تحقيق محمد حسن الشافعي ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

٥٣- قوت القلوب لأبي طالب المكي ط/ مصطفى الحلبي ١٣٨١ هـ ١٩٦١

٥٤- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانويط/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

٥٥- كشف اللثام عن تصوف المظلل بالغمام ﷺ د/ محمد سيد سلطان، نشر دار جوامع الكلم الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

٥٦- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لابن حسام الدين الهندي ط/ مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

٥٧- لسان العرب لابن منظور ط/ دار المعارف.

٥٨- لطائف المنن لابن عطاء الله تحقيق د/عبد الحليم محمود ط/حسان.

٥٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٦٠- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ط/ الأميرية بالقاهرة ١٩٢٠

٦١- المخصص لابن سيده، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ.

٦٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ط/دار الفكر العربي

٦٣- مسند الإمام أحمد ط / دار الفكر العربي.

٦٤- مستدرك الحاكم ط / حيدر آباد – الهند.

٦٥- المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية للشيخ محمد حسنين مخلوف، مكتبة عيسى الحلبي.

٦٦- معجم ألفاظ الصوفية لحسن الشرقاوي، نشر مؤسسة مختار، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

٦٧- المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثالثة.

٦٨- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة –

٦٩- مقدمة ابن خلدون ط / دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٨١ م.

٧٠- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي تحقيق الشيخ عبد الله دراز المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

٧١- المواقف من علم الكلام للعضد الإيجي ط / المتنبي بالقاهرة.

٧٢- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي، تحقيق د/ أحمد السايح، د/ السيد الجميلي ط/ دار الريان للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٧٣- ولايةالله تعالى والطريق إليها - إبراهيم إبراهيمهلال، نشر دار الكتب الحديثة.

٧٤- اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر للإمام الشعراني المطبعة الأزهرية المصرية الطبعة الثالثة ١٣٢١ هـ

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	
٣		المقدمة
٦	التعريف بالفراسة الإيمانية	الفصل الأول:
٦	الفراسة لغة واصطلاحًا	المبحث الأول:
٦	أولاً: الفراسة لغة.	
٩	ثانيًا: الفراسة اصطلاحًا	
١٥	أنواع الفراسة.	المبحث الثاني:
١٥	النوع الأول: الفراسة الإيمانية	
١٨	النوع الثاني: الفراسة الرياضية.	
١٩	النوع الثالث: الفراسة الخَلْقية	
٢٦	صلة الفراسة بعلم الغيب وحجيتها	الفصل الثاني:
٢٦	الفراسة وعلم الغيب.	المبحث الأول:
٣٥	الإلقاء الرباني والإلقاء الشيطاني	
٤٠	أدلة وصور لوقوع الفراسة الإيمانية	

تعقيـــــــــــب	٤٨
المبحث الثاني: حجيــــة الفراســــة والعمـــل بهـــا	٥٠
الفراسة الإيمانية والإلهام	٥١
المثبتون لحجية الفراسة أو الإلهام.	٥٧
أدلـــة مـــن يقـــول بحجيـــة الفراســـة الصادقة	٦١
ضابط العمل بالفراسة عند المثبتين	٦٦
النافون للعمل بالفراسة أو الإلهام	٦٧
موقف النافين من أدلة المثبتين	٧٠
أدلة النافين للعمل بالفراسة أو الإلهام	٧٣
تعقيـــــــــــب	٧٥
الخاتمـــــــــــــــــــــــة	٧٨
فهـــرس بـــأهم المراجـــع والمصـــادر	٨٠
فهـــــــرس الموضـــــــــوعات	٨٧